مريم عبد الله النعيمي

المملكة الأسرية

دار ابن حزم

المملكة الأسرية

بسم الله الرحمن الرحيم

٢١٠,٤
نم٢

المملكة الأسرية

ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف ٢٤٤٦٠٢٢
ترخيص رقم : (٧١)

مريم عبد الله النعيمي

دار ابن حزم

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأولىٰ

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

ISBN 9953-81-093-1

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

فإن شأن الأسرة كان وما يزال هو أحد مصادر القوة التي يجهد الفكر الإنساني لاستثمارها في المجتمع عبر توفير بيئة معرفية مناسبة لتمكين الآباء والأمهات من أداء التزاماتهم التربوية على أكفأ وجه وأتم صورة.

ولقد انفردت الشرائع السماوية برؤية معمقة وأصيلة حول خصائص الذات الإنسانية الفاعلة والتي يجب أن يعمل المجتمع على تدوينها بدءاً من الأسرة ومروراً بالبيئة الاجتماعية التي نظر إليها الإسلام على وجه التحديد على أنها نتاج وعي الأفراد والتزامهم الأخلاقي وبالتالي فحجة الرسل قائمة طالما أنهم قد أدّوا الأمانة وعرّفوا البشرية بمنهاج السلامة وطريق السعادة في الدنيا والآخرة.

كما انفرد الإسلام برؤية معيارية دقيقة وموسعة استوعب خلالها كافة التفاصيل التي تحكم السلوك البشري وتؤثر به، وعليه فصورة الأسرة المتميزة في الإسلام محكومة بمدى التزامها بالرؤية

التي صاغها الشارع الحكيم، وحث المسلمون على أن تنتقل من عالم الفكر إلى دنيا الحقيقة ليكون متاحاً للإنسان منذ بداياته الأولى أن يبدأ بداية صحيحة عبر المنهج التربوي المحكم الذي تهيأ للأبوين.

استقراء واقع المسلمين اليوم وفي الأمس القريب يؤكد حدوث انفصام ما بين النظرية والتطبيق في واقع الأسر المسلمة إلا من شريحة أدركت بوعيها أن التفريط في المنهج الوقائي الذي بنى عليه الإسلام نظريته في التربية هو خيار فاشل، فالنفس البشرية إن لم تتوفر لها بيئة مؤاتية تقدم لها منهجاً محكماً يقيها التكيف مع الانحرافات، ويمنعها من الانقياد للهوى والركون للضعف البشري فإنها ستكون معرضة لهزات نفسية لا يعلم إلا الله بأية طريق ستتعافى منها.

واقع الأسر المسلمة اليوم يعاني من حالة تصحّر في المفاهيم التربوية العليا كما يعكس هشاشة في التفكير وسطحية في إدراك مصادر البناء والتأثير مما غيّب كثير من الآباء والأمهات عن ماهية الوسائل القادرة على دعم الأبناء وترشيد سلوكهم.

في مقابل التصحّر المفاهيمي الذي هو كارثة حضارية يتجرعها الجيل الحالي كما تجرعتها الأجيال المتأخرة من أفراد الأمة وجدنا حالة من التصحّر العاطفي تعصف بالعلاقات الزوجية مردها مع الأسف الشديد لجملة من الأسباب المتعلقة بقصور في الوعي حول قيمة الارتقاء بالعلاقة الزوجية والحفاظ عليها إلى جانب الاستسلام للموجة التغريبية التي اتخذت من الإعلام والمرأة أسلحة فتاكة أتت على ما كان من ود أسري ونبل عاطفي

وحوّلت حالة الوفرة العاطفية لندرة في المشاعر قد تصل لحد التهور وفتح النار على أقرب الناس إذا ما نشب خلاف بسيط أو تباين في وجهات النظر.

إزاء أعراض سوء الفهم التربوي من جهة وأعراض انعدام الأمن النفسي بين الزوجين من جهة أخرى أصبح حرياً بمؤسسات الثقافة والرعاية المجتمعية وبالفعاليات العلمية وبالباحثين والباحثات في قضايا الأسرة أن يشمّروا عن ساعد العمل لاستدراك القصور في الأدوات التربوية وتقديم أطر عامة وسياسات محكمة يمكن الاعتماد عليها لإحداث نوع من التغيير الإيجابي في المحيط الأسري الذي يؤثر سلباً وإيجاباً على النسيج الاجتماعي فيقويه أو يضعفه ما يعني أن الهروب من الأبواب الخلفية، والركون لسياسة الرضا بالأمر الواقع والمراوحة في المكان أو نفض اليد بالكلية عن التحدث بصراحة وشفافية حول معطيات الواقع الأسري وإفرازاته القصيرة المدى والبعيدة أمر مرفوض خاصة وقد كثرت التحديات على الأمة ما يوجب تكثيف العناية ببناء الإنسان الفاعل ونشر الوعي الاجتماعي بأسس تنشئة جيل قادر على حماية مجتمعه والإضافة له.

أفراحنا وأحزاننا العامة هي صدى لأفراح الأسر وأتراحها.

ونحن من خلال هذه الموضوعات التي عنيت بتفعيل الأداء التربوي أسرياً وتنشيط خلايا التفكير لدى المعنيين بأمر التنشئة الاجتماعية نأمل أن نساهم في إنارة العقل وتيسير المعرفة في هذا المجال للباحثين عنها.

إن أملنا لا حدود له في أن يتحرك أفراد الأمة للقيام بمسؤولياتهم على النحو الصحيح وفي أسرع وقت ممكن.

مريم عبدالله النعيمي
الإمارات العربية المتحدة
عجمان
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

Alnaymiarticle@hotmail.com

القدرة اللغوية عوامل نموّها ودورها في صياغة شخصية الطفل

يعتبر الاهتمام بلغة الطفل مؤشراً إيجابياً على وعي الأبوين وإدراكهما لدور اللغة في صياغة شخصيته وتحقيق التواصل المبكر بينه وبين أبويه وأسرته من جهة، ثم بينه وبين العالم الخارجي من جهة أخرى.

وعي الآباء بأهمية الدور الخطير الذي تلعبه اللغة في نقل الأفكار وفي توصيل المعلومات من وإلى الإنسان يمثل الخطوة الأولى في طريق بناء القدرة اللغوية لدى الطفل، وتحقيق مستوى مناسب من الثروة اللغوية سماعاً في المرحلة الأولى، وقراءة في المرحلة الثانية، وكتابة في المرحلة الثالثة.

وإن كان من الصعب التمييز بين مرحلة القراءة والكتابة ووضع خط فاصل بينهما لكون تعلم مبادئ القراءة يتضمن تعلم مبادئ الكتابة بحكم التلازم بين ما تلتقطه العين، وما يرسم في الدماغ من صورة للحرف إلا أن المرحلة العمرية والمتابعة المستمرة يلعبان دوراً هاماً في تطور ملكتي القراءة والكتابة لدى الطفل.

متى تبدأ الحاجة إلى المخاطبة والمحادثة؟

الإجابة على هذا السؤال تكشف عن بعض الجوانب الهامة في هذه المسألة خاصة إذا عرفنا أن الحاجة تبدأ منذ مرحلة المهد.

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن مخاطبة الصغير ومحادثته منذ اللحظات الأولى هي أحد الوسائل الهامة في إيصال الرسائل العاطفية إليه وإشعاره بالمحبة والاهتمام.

وكلما توسعت مدارك الرضيع نحو العالم المحيط به كلما زاد انتباهه أكثر إلى الأصوات الصادرة من الأبوين وهما يلهوان معه.

الدراسات المهتمة بتطور لغة الطفل ألقت الضوء على الأهمية الفائقة للحوار المبكر مع الصغار حتى وهم في مرحلة المهد وحول هذا المعنى تشير «باتريشيا كول» مديرة مركز التعلم بجامعة واشنطن بقولها: إن الدراسات التي قاموا بها في المركز توضح أن قدرة الأطفال على تمييز أصوات الكلام في سن الستة أشهر الأولى ترتبط بقدرات تعلم اللغات ـ كما تضيف قائلة ـ: أنه كلما أتقن الأطفال التمييز بين الأصوات وهي مكونات الكلام كلما كانت قدراتهم على تعلم اللغة في المستقبل أفضل.

والأطفال الذين يعانون مشكلات في اللغات والقراءة يكون لديهم مشكلات في تمييز الأصوات المستخدمة في الكلام.

وفي ختام حديثها قالت: «إن الأطفال هم مواطنو العالم ومنذ ولادتهم وبداية حياتهم يمكن أن يميزوا بين الأصوات الساكنة والمتحركة المستخدمة في الكلام. وبعد مرور ١٢ شهراً

يكون الرضيع قد تعلم القواعد الصوتية».

وإذا أخذنا بالاعتبار وجهة النظر القائلة بأن قدرة الطفل على الكلام المبكر تعد إشارة على ذكائه فإن تلك الهبة يرجع الفضل في حصولها بعد الله إلى محادثات الأبوين المبكرة للطفل الصغير.

إن عقل الطفل الرضيع يختزن الكثير مما يقال له، ويبدأ أثناء مراحل النمو المختلفة التي يمر بها في استعادة المخزون اللفظي الذي تلقاه من أبويه وإخوته.

وتستمر الحاجة:

إذا تأكد أن مدارك الطفل تزداد اتساعاً كلما حدث نوع من الاتصال اللفظي فإن الحاجة تزداد تأكيداً كلما تسارعت عجلة الزمن وبدأ الصغير ينمو ويكبر.

العوامل المؤثرة في نمو الطفل اللغوي:

إذا سلمنا بأهمية مخاطبة الطفل من أجل تحقيق أعلى قدر من التواصل بينه وبين والديه، فإن وقوف الوالدين على العوامل المؤثرة في نمو الثروة اللغوية لدى الصغير من شأنه أن يعزز من دورهما في مساعدته على الارتقاء بمعرفته اللغوية، وتنميتها كما أنه يصبح بإمكانهما معرفة الظروف الأكثر ملاءمة للارتقاء بلغته.

١ ـ عامل الزمن:

يزداد محصول الطفل اللغوي كلما تقدم به السن، ويعود السبب إلى نضج الجهازين الصوتي والعصبي مع مرور الوقت.

٢ ـ عامل الذكاء:

تتفق جميع الدراسات على وجود علاقة بين اللغة والذكاء.

٣ ـ عامل الصحة:

كلما كان الطفل سليماً جسدياً يكون أكثر قدرة على اكتساب اللغة.

٤ ـ الجنس:

تشير كثير من الدراسات إلى تفوّق الإناث على الذكور بالنسبة للحصيلة اللغوية ولا سيما في السنوات الأولى من العمر.

٥ ـ الحالة الاقتصادية:

تؤكد الدراسات على وجود ارتباط عال بين غزارة المحصول اللفظي والمستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للأسر.

٦ ـ عامل ثقافة الوالدين:

كلما كان الوالدان أكثر ثقافة كلما زاد المحصول اللفظي لأطفاهم.

٧ ـ عامل تعدد اللغات في البيت:

يشكل تعدد اللغات في البيت الواحد عامل إضعاف للقدرة اللغوية بحسب قوة أو ضعف مصادر التأثير الأخرى على اللغة الأم.

٨ ـ غياب الأم:

يعيق نمو اللغة لدى الطفل.

٩ ـ العلاقات غير الطبيعية في الأسرة:

تؤثر سلباً على نمو الطفل اللغوي.

١٠ ـ عامل عدد الأطفال في الأسرة وترتيب الطفل بين أخوته:

تشير بعض الدراسات إلى أن ترتيب الطفل بين أخوته عامل مؤثر في مقدار حصيلة الكلمات التي يملك.

١١ ـ عامل التشجيع والتدريب والاختلاط بالآخرين:

فهو يساعد على اكتساب المهارة اللغوية.

١٢ ـ عامل الالتحاق بدور الحضانة والرياض:

حيث تنمو خبرة الطفل أكثر.

١٣ ـ عامل مهارة النمو الحركي:

مستوى النمو في اللغة يوازي نمط النمو الحركي.

١٤ ـ عامل الحالة الانفعالية:

نضج الطفل الانفعالي وثبات انفعاليته نسبياً يسهلا عملية تعلم اللغات[١].

---

(١) في علم نفس الطفل. الدكتور محمد عودة الريماوي. دار الشروق. الطبعة العربية الأولى الإصدار الثاني ١٩٩٨م.

دور الأبوين في إثراء قاموس الطفل اللغوي:

١ ـ الالتفات المبكر إلى أهمية إجراء حوار مبكر مع الطفل منذ أيامه الأولى وحتى لو كان ذلك الحوار من طرف واحد فإنه كما بيّنا في الفقرات السابقة يخزن في دماغ الطفل وأول ما يخزن أصوات الكلمات ثم الكلمات التي يبدأ الطفل في التلفظ بها بمجرد أن يمتلك القدرة على الكلام وفقاً لتطور دماغه وإمكاناته الصوتية واللغوية.

٢ ـ أخذ الدور الحيوي لكتب الأطفال بعين الاعتبار، وتوظيف محتويات الكتب المتخصصة للطفل لدعم لغته ومضاعفة عدد المفردات اللغوية الصحيحة لديه.

الأجواء المهيئة لتكوين علاقة ناجحة بين الطفل وبين الكتاب:

١ ـ تحديد أوقات خاصة للقراءة للطفل في حال توفر الرغبة في توثيق علاقته بلغته من جهة وبالمطالعة من جهة أخرى.

٢ ـ اختيار المكان المناسب للقراءة، الخالي من التشويش والمؤثرات الصوتية المشتتة للانتباه، المعيقة للتركيز.

٣ ـ توفير مكتبة ذات أرفف صغيرة تتناسب مع سن الطفل بحيث يستطيع بنفسه أن يضع الكتاب في مكانه الخاص وأن يتناوله متى يشاء.

٤ ـ يفضل استعمال الكتب ذات الصفحات السميكة حتى لا تهترئ بسرعة أو تتعرض للقطع.

٥ - جلب الكتب التي تحتوي على صور ورسومات معبرة وواضحة وليس ذلك من أجل جذب اهتمام الطفل فحسب بل لكون الصور تبقى في الذاكرة بشكل أفضل[١].

الوسائل الذكية لإنجاح وقت القراءة:

١ - يستحسن أن يضع القارئ يده على الحروف أثناء القراءة وذلك لمساعدة الطفل في التعرف على الحروف وبالتالي تخزينها في ذاكرته بشكل أفضل مما لو قرئت القصة سرداً ودون متابعة الإصبع.

٢ - تبسيط معاني الكلمات وشرح ما قد يصعب عليه فهمه مراعاة لتحقيق أعلى درجة من الاتصال بينه وبين المادة التي يصغي إليها.

٣ - يستحسن أن يطلب من الطفل تكرار كل كلمة جديدة عدة مرات كي يسهل عليه إضافتها لقاموسه الشخصي.

٤ - عند قراءة القصة يستحسن تشكيل كلماتها حتى تتعود أذن الطفل على التقاط الكلمات بشكل صحيح مما يهيؤه لامتلاك القدرة على التحدث بطريقة يراعي فيها قواعد اللغة في المستقبل.

٥ - تجزيء الكمية المقروءة إن كان بها نوع من الإطالة تجنباً للإثقال على الطفل فكلما زاد حماسة للاستماع كلما تحققت أهداف القراءة له والعكس أيضاً صحيح.

---

(١) تنشئة الأطفال على حب القراءة، برنيس كليناان، مكتبة كنوز المعرفة ١٩٩٧م.

القواعد الذهبية لفهم المراهق

تأتي مرحلة المراهقة كحلقة من حلقات النمو الطبيعي التي يمر بها الإنسان وتتميز بالاستعدادات الفطرية والنفسية والعقلية الخصبة، الغنية بالطاقات المتنوعة والاستعدادات المختلفة لتحقيق التفاعل الإيجابي بين المراهق وبين مجتمعه.

ومع هذا القدر من الاستعداد والتهيؤ لتكوين علاقة إيجابية بين المراهق ومجتمعه ينبغي أن تكون الرعاية الأسرية على الوجه الذي يغذي تلك الاستعدادات الخاصة ويفتح لها المجال لتنمو وتكبر من خلال البيئة المحيطة به والتي تدفعه نحو التميز والنجاح على كافة المستويات ومختلف المجالات.

تعريف المراهقة لدى علماء النفس:

يعرّف علماء النفس المراهقة بأنها مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الشباب وتتسم بأنها فترة معقدة من التحول والنمو تحدث فيها تغيرات عضوية ونفسية وذهنية واضحة تقلب الطفل الصغير عضواً في مجتمع الراشدين[١].

---

(١) حامد زهران، علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة.

وعبدالرحمن العيسوي، مشكلات الطفولة والمراهقة، ١٩٩٣م، دار العلوم العربية، لبنان.

مراحلها:

المراهقة المبكرة من (١٢ ـ ١٤) سنة، والمراهقة الوسطى من (١٥ ـ ١٧) سنة، وأخيراً المراهقة المتأخرة من (١٨ ـ ٢١).

مفهوم المراهقة في الفكر الإسلامي:

قبل المضي قُدماً في شرح خصائص مرحلة المراهقة فإن التوقف لفترة من الزمن أمام الفكر الإسلامي وفهم نظرته تجاه هذه المرحلة العمرية الخاصة يعتبر عملاً مطلوباً وذلك لكون الإسلام يقدم منهجاً تربوياً متكاملاً على النحو الذي يغني عن الحاجة لسواه من المناهج التربوية التي تقصر عن بلوغ المستوى الرائع الذي بلغه هذا المنهج في رؤيته وأهدافه ووسائله.

في موضوع المراهقة فإن الإسلام ينفرد بنظرة خاصة لهذه المرحلة تعتمد على استثمار الطاقة الجسدية والنفسية التي يتمتع بها من هم في هذا السن الخصب، وتوظيف هذه الطاقة في مسارها الصحيح بالكيفية التي تهيئ المراهق إلى استقبال واجباته الدينية والحياتية على النحو الأمثل.

التربية المبكرة تدفع في هذا الاتجاه:

إن الذي يهيئ لانضمام أفواج الشباب الصغار كعناصر حيوية تغذي المجتمع بأفكارها المتوثبة، وآرائها الجريئة هو التربية النوعية المبكرة التي تتهيأ للطفل وتكسبه مع الزمن الثقة بالنفس فتهيئ لانسجامه مع البيئة الاجتماعية، والتفاعل مع عالم الكبار بانسيابية وتوافق تعكس أصالة التربية التي تلقاها منذ نعومة أظفاره.

مطب حذّر منه المنهج الإسلامي:

نبذ لغة التدخل السريع:

قانون الطوارئ وإنقاذ ما يمكن إنقاذه ليس له مكان في منهج التربية الواعدة فإن كان التدخل السريع، والعلاج الارتجالي والمؤقت ينفع مع الآلات والجمادات فإن الإنسان لا يتربى بمثل هذه الطريقة الهجينة التي تقع في دائرة المناهج المرفوضة المؤسسة على التلفيق والترقيع والتي تهمل الطريقة السليمة لبناء الإنسان.

وإذا ما حرم الطفل من مصادر التنشئة السوية فإنه يغدو فارغ القلب قليل الإدراك فاقداً للشعور بالخطأ والصواب حيث تختلط عليه الرؤية ويغيب عنه الهدف الكبير.

وعليه فإن بناء الإنسان لا يصح أن يؤجل إلى مرحلة المراهقة التي يراها الإسلام مرحلة أخذ وعطاء وليست مرحلة زوابع وعواصف ومغامرات هوجاء.

والذين أرادوا للمراهقة أن تكون مرحلة التأرجح بين الأفكار والاتجاهات هم من أهمل مرحلة الطفولة وضرب بواجبه عرض الحائط فنتج عن ذلك التفريط مراهق هش لا يعرف له طريقاً، أو يقدر على أن يحدد له أهدافاً جيدة يعمل على تحقيقها، يعجز عن اتخاذ القرار الصائب ويفتقر لمعرفة أبسط الأدوات والوسائل التي تمكنه من المضي في الحياة دون أن يتكبد خسائر معنوية أو نفسية تبدد طاقته وتصيبه بالإحباط واليأس.

مؤشر النجاح أو الفشل:

ما من أب أو أم إلا ويتمنون في أعماق نفوسهم لو كانت لهم مرآة ذات قدرة خاصة على نقل الصورة الحقيقية لسلوك أبنائهم وبناتهم ممن هم في سن الشباب لكي يطمئنوا ويهدأ بالهم.

في حال تربية الأبناء على تقوى الله فإن هذا المطلب الأبوي يصبح ممكن التحقيق، وحول هذا المعنى يقول النبي الكريم ﷺ مخاطباً ابن عباس وهو ما زال غلاماً صغير السن قائلاً: **«يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم: أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء فلن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**[1].

هذه اللفتة النبوية لهذا الغلام الصغير حوت الرؤية التربوية الكفيلة بربط الإنسان بخالقه ربطاً يحميه من التعثر في دروب الحياة ويقيه من أن تقتلع جذوره ريح غريبة تطيح به إلى واد غير ذي زرع.

فإذا ما نشأ الطفل على مبادئ التربية الفاعلة فلا شك أن الغد سيتيح للآباء أن يشاهدوا عن كثب سلوكاً راقياً يؤكد لهم

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

صلابة البنية النفسية وانفتاحها على قيم التدين الواعي منذ الصغر وحتى آخر العمر.

حاجات المراهق في هذه المرحلة:

أولاً: الحاجة إلى الحب:

مما لا شك فيه أن المراهق في هذه المرحلة يمر بتغيرات نفسية وانفعالية خطيرة فهو لم يعد ذلك الطفل الصغير الذي ترضيه قطعة الحلوى وتسعده الوعود المعسولة والتي لا تتعدى أن تكون حقناً مهدئة لموجات الغضب الطفولي التي كان يلجأ إليها أبويه لامتصاص انفعاله المألوف.

إن مطالبه تتجاوز الحلول الطارئة لمشاكله الساذجة والصغيرة التي كان يفتعلها في مرحلة الطفولة، ففي هذه المرحلة الانتقالية التي يمر بها وينتقل من خلالها من مرحلة الطفولة إلى سن الرشد تزيد حاجته إلى أبويه ليشملاه بالمزيد من الرعاية والاهتمام.

خطورة نقص أوكسجين الحب:

الاستهانة بإظهار العاطفة القوية للمراهق تجعل قلبه فارغاً من الطاقة العاطفية التي تدعمه وتحقق له قدراً عالياً من الشعور بأهميته لدى أبويه ما يحميه من الوقوع تحت أسر الكلمة المعسولة التي قد تحملها الموجات الصوتية من جهة غريبة متطفلة تبعث سمها مغلفاً بلون الورد مستغلة حداثة السن وقلة الخبرة.

ثانياً: الحاجة إلى التربية الروحية:

تعبّر الحاجة للإشباع الروحي عن نفسها بصور مختلفة. منها بحث المراهق الملحوظ عن القدوة العملية، ورغبته العارمة بأن يكون سلوك أبويه متوائماً وتوجيهاتهم الحازمة، كما قد يتسبب اضطراب سلوك أبويه أحدهما أو كلاهما بحدوث هزة نفسية له وإن لم يعبّر عنها صراحة بلسانه إلا أنه يسرها في نفسه ويتألم بسببها.

إن حاجة الابن إلى محضن تربوي يجيب عن تساؤلاته الفطرية ويغذي فيه الاستعداد للتوجه إلى الله هي حاجة حقيقية وليست طارئة أو مؤقتة.

ولأن إلحاح الحاجة إلى التدين هو إلحاح فطري راسخ، ولأن صوت القلب الذي يبحث عن طريق يؤدي إلى الله هو صوت مدوي ومجلجل في نفس الفتى والفتاة، فإن تجسيد الأبوين لمعاني الإيمان يعد الخيار الأقدر على إحداث التأثير الإيماني المطلوب في نفسيهما.

تقديم الأبوين للنموذج العملي الصحيح يمثل الشريان الذي يمد هذه الحاجة بالدماء الزكية التي تنعش روح المراهق، وتمنحه الثقة بأبويه والشعور بأنه في كنف رحيم يستطيع أن يأوي إليه كلما ضاقت عليه نفسه وشعر بالغربة في عالم مضطرب.

ثالثاً: الحاجة إلى الاحتواء والاستيعاب:

عبر إظهار العاطفة الجياشة التي تغمر قلب الأبوين تجاه ابنهما أو ابنتهما المراهقة.

فالمعاملة الحانية والأساليب التربوية الواعدة التي ترسخ للحوار لتخاطب العقل والقلب والروح والوجدان تشبع في الأبناء حاجاتهم الفطرية إلى وجود كنف أبوي لا يضيق بهم، ولا يمل من العطاء أو يمتنع عن فتح أبواب الحوار حول قضايا ساخنة تفرض نفسها دون استئذان وتبحث عن إجابة سريعة في المنزل وإلا خرج البحث عن إطاره وانحرف الحديث عن مساره الصحيح.

أهم مظاهر الاحتواء والاستيعاب:

الارتقاء بأسلوب الحديث مع المراهق، وتجنب الكلمات السلبية التي تترك آثاراً تدميرية ربما عجز الفتى أو الفتاة عن ترميمها في قادم الأيام، خاصة وأن الآباء الذين يفضلون اللجوء إلى العنف اللفظي تنخفض لديهم القدرة على تكوين صداقات حقيقية مع أبنائهم في الوقت الذي تشكل فيه هذه الصداقة مظلة حقيقية تقيهم من قسوة الحياة ومفاجآتها المحفوفة بالأخطار.

إن إسقاط هدف تكوين صداقة حقيقية مع هذه الشريحة هو مطب تربوي ينبغي تجنبه والحذر من حدوثه، فالمراهق يمر بتجارب عديدة ويخضع لانفعالات مختلفة ويصيبه التوتر مما يرى ويسمع من تناقضات تزخر بها الحياة التي يتعاطاها.

زملاء المدرسة على سبيل المثال يظهر منهم الكثير من السلوكيات التي قد ترفع درجة التوتر لديه، وقد تصيبه بصدمة نفسية حين يرصد ما يعتبره شذوذاً وخطأً وفق قاموس القيم الخاص به، والذي اكتسبه من عائلته الملتزمة.

فإذا كان هذا الفتى قد نشأ في ظل تربية أخلاقية عالية فإنه لا شك سيصدم بكم من الأخطاء والتناقضات التي تصدر من زملائه ممن حرموا من هذه الرعاية، وممن بخل عليهم ذويهم بالتنشئة الصالحة.

أقول هذا الفتى الذي نال قدراً من التربية على مكارم الأخلاق لن يستطيع بدون دعم الأسرة من الثبات على القيم التي نشأ على احترامها إلا إذا كان هناك رابطة وثيقة تربطه بأبويه، وجسر من المودة صنعته العاطفة الذكية وشيدته الصراحة المستمرة وقوّاه الاتصال المفتوح بين الطرفين.

إن التغذية الراجعة تكون في هذه الحالة على الصورة التي تمناها الأبوان فهذه الجسور المفتوحة بين المراهق وأبويه تقدم تقييماً دورياً وصورة عاكسة لواقع الابن الاجتماعي، ولنوعية الخبرات التي يتعرض لها.

في حين أن تجاوز هذا المطلب سوف يحرم أولياء الأمور من مثل هذه التغذية الراجعة، وهذا المؤشر الحساس الذي يعبر عن واقع الابن أو الابنة بصورة طبيعية ليس فيها رتوش ولا ألوان زائفة.

يقول الدكتور سبوك الاختصاصي النفسي في طب الأطفال: «إن الأطفال وهم يجتازون مرحلة المراهقة من السن الثالث عشر إلى السن التاسع عشر لا بد لهم من أن يتقدم أحد ليساعدهم على أن يبلوروا معاييرهم أكثر وأكثر».

ثم يضيف قائلاً: «إذا تسنى لهم أن يتناقشوا مع آبائهم بطريقة عفوية ـ في أثناء الطعام مثلاً ـ الأمور التي تتعلق بمسلك

أصدقائهم وزملائهم من الجنسين فذلك ينير للأبناء الطريق من حيث حقوقهم وواجباتهم وما هو مباح وما هو محرم.

إنهم حقاً وفي قرارة أنفسهم يحترمون حكم آبائهم وأمهاتهم ويريدون تلقي توجيههم على الرغم من أنهم لا يظهرون ذلك دائماً»[1]

وفي تأكيده على أهمية تكوين علاقة تسودها الصراحة وتشملها الثقة المتبادلة يرى الدكتور سبوك أن ميزان الأبوين الخاص بالقيم والأخلاق يجب أن يتعرف عليه الأبناء بطريقة واضحة لا لبس فيها ولا غموض من أجل أن تتوفر الإجابة الصحيحة لتساؤلات المراهق من المصدر الجدير بالإجابة والأكثر مصداقية، والأحرص على إنارة الدرب له وتوضيح ما يعينه على الفهم الصحيح للمسائل المتعلقة بشؤونه وأحواله.

وحول هذا المعنى يعلق سبوك قائلاً: «جدير بالأبوين أن يوضحا على سبيل التفسير أن مثلنا العليا الدينية، ومثلنا العليا الخاصة بحياة الأسرة هي التي توجهنا وترشدنا فيما يتعلق بأي ناحية من نواحي الجنس تعتبر صحية وسامية أو خاطئة وآثمة. بمعنى أنها ضارة ومؤذية للآخرين وللفرد ذاته»[2]

رابعاً: الحاجة إلى تقدير الذات:

وهذه الحاجة تشبع من طريقين: الطريق الأول: يأتي من

---

(١) حديث إلى الأمهات / مشاكل الآباء في تربية الأبناء، دكتور سبوك ١٩٩٠، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

(٢) المرجع السابق.

احترام وتقدير الآخرين له وعلى رأسهم الأبوين والمعلمين، والطريق الثاني: أن تكون نظرة المراهق لنفسه نظرة إيجابية ما يساعد على اكتسابه الصحة النفسية ويعزز دافعيته للتكليف الاجتماعي والعمل المنتج.

المراهق الذي يحظى بالاحترام والتقدير تعكس تصرفاته مسؤولية أكبر، نتيجة إحساسه بالثقة في نفسه، وشعوره بأنه قادر على أداء واجباته المختلفة بصورة لائقة وصحيحة.

والعكس أيضاً صحيح إذ تنتج الأحكام السلبية الصادرة من الأبوين ردود أفعال ضعيفة كأثر لاهتزاز الثقة وضعف التقدير والاحترام.

فالمعاملة الأبوية القائمة على اتهام وانتقاص الأبناء لا يمكنها أن تنتج شباباً يتمتعون بالثقة بأنفسهم بل تأتي النتيجة معكوسة على هيئة استسلام للأحكام السلبية التي تصدر بحقهم مرات ومرات، ومن لا يوثق به لن يلزم نفسه بالكثير بعد أن حرم من الاحترام والتقدير.

إن من يريد لأبنائه النضج والنجابة عليه أن يعزز فيهم معاني الثقة بالنفس، والإيمان بالقدرة الذاتية على تحقيق نتائج متميزة على مستوى السلوك والأفعال.

خامساً: الحاجة إلى الحرية والاستقلال:

في المرحلتين الوسطى والمتأخرة من مراحل المراهقة ينبغي منح قدر مناسب من الحرية للفتيان والفتيات بصورة تتناسب مع المرحلة التي يمرون بها، ومن الثابت أن الرجال لا يصنعهم

الكبت والتسلط، وأن النساء الواعدات لا تضعهن البيئة الضاغطة والتربية المتسيدة بل التربية المنفتحة على قيم الاحترام المتبادل والتقدير الكامل.

إن البيئة الأسرية المنفتحة على الأفكار والأراء والتي تسمح لضوء الحقيقة أن يتسرب إلى نفوس الأبناء دون أن تضع أمامهم عراقيل وقيود تمنع التعبير عن الأفكار أو تحدد طريقة واحدة للتفكير دون سواها هي وحدها من يقدر على تقديم مخرجات تربوية أفضل.

أما الأسر التي تعتمد القرارات الفوقية بصورة مكثفة وعلى نحو مبالغ فيه وتدار بطريقة مركزية يتدخل فيها الأبوان بأدق شؤون أبنائهما كاختيار الملابس، والحاجات الشخصية، واختيار الأصدقاء والأقران وتحديد الأماكن المسموح بالذهاب إليها وفق قائمة محددة لا يمكن مناقشتها أو الطعن فيها أو تعديلها فإن علاقة أفرادها ببعضهم تصبح عرضة لانتكاسات حقيقية ما لم يسمح للمرونة لتأخذ حيزاً من الفعل والتأثير.

إن إلغاء كيان الفتية والفتيات على هذا النحو مرفوض جملة وتفصيلاً وما كان يمارس في مراحل الطفولة المبكرة ويمكن السكوت عنه جوازاً أصبح الآن أسلوباً استفزازياً باعثاً على الرفض والإنكار!!

التربية المبنية على الخضوع والاستكانة سوف ينتج عنها جيل فاقد الثقة بقدرته على الاختيار، وعلى اتخاذ القرار وهو أمر خطير كونه ينتج شخصية انسحابية تقاد ولا تقود، وتعجز عن

التعبير عن رأيها حتى وإن بدا منها ما ينم عن رغبة في التعبير لأن قدرتها على الفهم والتحليل والوصول إلى نتائج صحيحة تضعف نتيجة سنوات الكبت والتسلط التي مارسها الأهل في مرحلة الشباب المبكر[١].

❀ ❀ ❀

---

(١) قام الكاتب دونالد نون في كتابه الإبداع في حل المشاكل بتقديم رؤية متطورة حول كيفية استيعاب الأزمات واحتوائها، الناشر ٢٠٠١ م.

تربية الأبناء في الزمن الصعب
والخيارات الممكنة

ترى ما هي نسبة التفاؤل المتوقعة لنجاح جهود الآباء في تربية الأبناء في ظل هبوب رياح الشرق والغرب ومحاولاتها المستمرة في اقتلاع الثوابت، وتبديل القيم، وإحلال ثقافة مستوردة لا صلة لنا بها، ولا شيء مشترك يجمع بيننا وبينها؟!

وكيف يتصرف الآباء والأمهات وهم الحريصون على إكساب أبنائهم مناعة أخلاقية تحميهم من آفات الانفتاح العشوائي على ثقافات العالم إذا ما وجدوا قوة في الريح التي تجذب أبناءهم في مقابل المقاومة الضعيفة التي يبديها أولئك الأبناء للحفاظ على هويتهم من التشويه أو الاقتلاع.

ومع اجتهاد الآباء والأمهات في التعريف بالطريقة المثلى التي تضمن السير في الاتجاه الصحيح إلا أن الخوف من حدوث ثغرات في الفهم ونقص في الاستيعاب يبقى قائماً.

والسؤال الحي: هل تتوفر للأبناء قدرة كافية للحفاظ على توازنهم وسط لوثة الأفكار وهشاشة البنية الثقافية المستوردة المراد ترسيخها في المحيط الاجتماعي؟

إنها أحجية تبدو صعبة الحل؟ ولغز يبدو عسيراً على الإجابة، ومعضلة تحتاج إلى متخصص ليفك طلاسمها ورموزها؟

فكيف يعيد الأبناء ترتيب أوراقهم من جديد؟! وكيف يتمثلون الصورة المثالية الرائعة التي رسمها لهم الأبوان عن الشخصية الناجحة التي تستثير إعجاب الناس، وتستحوذ على اهتمامهم طالما أنها ملتزمة بالمبادئ والقيم، وهم يرون المثل الجميل يتحطم أمامهم كل يوم أمام إغراء فتاة أو صوت مغنية، أو لقطة ساخنة لفيلم يستبيح نظر المشاهد، ولا يراعي لجوارحه حرمة، ناهيك عن أن يعتني بمشاعره أو يلتفت إلى ما أحدثته من خراب وتدمير في نفسه؟!!

الإجابة الشافية تختصرها الدعوة الموجزة إلى اعتماد خطوات وقائية من قبل أولياء الأمور فيما لو أرادوا أن يجتاز أبناءهم التحدي بنجاح وأن يتعاملوا مع الواقع بقوة وثبات، وأن تكون لهم شخصيتهم المستقلة التي تؤثر ولا تتأثر، وتقود الآخرين إلى الخير في الوقت الذي تستعصي فيه على أن تقاد إلى الطريق الخطأ وهذه بعض القواعد والأسس التربوية في طريق البناء المتناسق الذي لا يعاني من ضعف ولا يخشى عليه الهدم أو الوقوع السريع:

الخطوة الأولى: تأسيس الحس الناقد القادر على الاختيار والرفض:

تعتبر التربية القائمة على تدريب الأبناء على نقد الخطأ ورفضه منذ الصغر هي أحد العوامل التي تعزز القدرة على الاختيار الصحيح وفق معايير سليمة ونظرة شاملة.

وكلما مارس أولئك الأبناء النقد العلني ضد الأخطاء التي يرونها في المجتمع كلما شعروا بمزيد من القوة الداخلية، ومزيد من السيطرة على الانفعالات طالما أنهم مقتنعون بأرائهم مما يخلصهم من أي شعور بالنقص، ويجنبهم الوقوف في موقف الدفاع عن القناعات الخاصة، بل على العكس تماماً إذ تمنحهم القدرة على التعبير عن رأيهم في الأحداث الاجتماعية والتيارات الشائعة في المجتمع مساحة من التأثير على الآخرين وهي نتيجة فائقة الأهمية يجب أن يحرص على تحقيقها الأبوان.

كيف يمكن تدريب الأبناء على ممارسة النقد الإيجابي ؟!

يبدأ التدريب على ممارسة النقد الإيجابي منذ الصغر، ولعل المدخل المناسب إلى تكوين الحس الناقد للأطفال هو في توقف الآباء أمام الأخطاء الكرتونية التي تعرض فيها مشاهد تصطدم مع النظام الأخلاقي الذي يحرصون على تأصيله في نفوس أفراد عائلتهم.

فإذا ما وجدوا شيئاً من تلك الأخطاء المعروضة على الشاشة بادروا فوراً بتوجيه نقد شفوي مسموع لكل ما يجرح الذوق ويستبيح عين المشاهد وسمعه وهكذا تلتقط آذان الأطفال يوماً بعد يوم عبارات واضحة وصريحة في نقد الواقع السلبي مما يساعد على تكوين الحس الناقد القادر على الدفاع عن القناعات الشخصية بغض النظر عن قبول المجتمع أو رفضه لتلك القناعات.

ثانياً: توفير قاعدة معرفية صحيحة ومتجددة:

إن من أكبر الأخطاء التي تحيط بالأبناء في رحلتهم نحو اكتشاف الحياة وتكوين خبرات خاصة بهم والتي تبدأ لحظة

انفصالهم لزمن محدود كل يوم عن أمهم للذهاب إلى المدرسة هي أن يعتمد الآباء والأمهات اعتماداً كلياً على التعليم اللفظي المجرد، وعلى النصائح الشفوية المباشرة كالأمر بالصلاة، والصوم، والدعوة إلى الصدق والحفاظ على الأمانة وغيرها من القواعد الأخلاقية أو العبادات الشرعية.

ويعتقدون ـ مع الأسف الشديد ـ أن مجرد تكرار النصح والإرشاد حول أهمية تلك الشعائر والأخلاق هو الضمان لتحقيق حماية الأبناء من الأخطار الاجتماعية الكثيرة.

غير أن استقراء طبائع الإنسان تؤكد أن المعلومات التي تعطى بشكل وعظي لا تكفي في كثير من الأحيان لدعم الناشئة إذا ما خلت التربية من النقاشات الحرة والموسعة حول رؤية الإسلام لإشكاليات العصر وإفرازاته والتي إن لم يتم إماطة اللثام عنها فسوف يضيع الأبناء أمام نقاشات سفسطائية يفتعلها أقرانهم بينما لا يجدون في مخزونهم الثقافي ما يمكنهم من إدارة نقاش جاد وهادف الأمر الذي قد يشعرهم بضآلتهم وقصور إمكاناتهم عن مجاراة زملائهم أو الدفاع عن الأفكار التي تربوا على احترامها، ما يجعلنا نطالب الآباء بضرورة الاهتمام بتثقيف الأبناء ثقافة إسلامية جيدة من أجل حمايتهم من اتهام زملائهم لهم بأنهم لا يملكون الدليل الذي يقنعون به الآخرين حول جدوى احترام الخطوط الحمراء والمحافظة على الأعراف والقيم الأصيلة[١].

---

(١) إشراقات تربوية، مريم عبدالله النعيمي، دار ابن حزم، الطبعة الاولى، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

تقتضي السلامة إذن وجود خطة عملية واضحة يعتمدها الآباء كحل عملي وأسلوب إثرائي يهدف إلى تحقيق قاعدة معرفية جيدة وصحيحة تقدم على شكل جرعات تتناسب مع نمو الأطفال العقلي والإدراكي والانفعالي بحيث تتوفر لهم مع التخطيط المنظم ومواصلة تزويدهم بالمعرفة الصحيحة عاماً بعد عام قاعدة معرفية جيدة تتنامى مع الزمن، لتمنحهم الطمأنينة إلى فاعلية الالتزام بالخطوط الآمنة، وجدوى السير في الطريق الصحيح.

وكلما كبر الطفل والكتاب صاحبه ونديمه كلما أمكن أن نتنبأ لهذه الشخصية المؤسسة على حب العلم والمعرفة والتي غذيت بمصادر معرفية صحيحة بأنها ستنجح في التكيف مع الواقع دون أن تضطر إلى دفع ضريبة المجاملة على حساب الأخلاق والمبادئ.

ثالثاً: وجود آلية عمل مرنة وطويلة الأجل:

المرونة في التربية تعني القدرة على استيعاب تصرفات الطفل والمراهق، والتكيف مع مزاجه وحالته النفسية دون التصادم معه أو إصدار أحكام استباقية بحقه.

فالتربية عملية معقدة يراد لها الاستمرار والنمو والفاعلية وحتى تتحقق هذه المطالب لا بد من الأناة والتروي واللجوء إلى الحكمة مهما كان حجم معاندة الطفل أو المراهق، ومهما كانت ردود أفعالهما.

لكي يتسنى للأبوين النجاح في دورهما التربوي لا بد أن يكون الثبات على المبدأ، والتربية المعيارية، والنظام إضافة

لاستخدام وسائل الإقناع المختلفة هي الركائز التي تنطلق منها كافة الوسائل المتبعة في صياغة الشخصية وبناء الذات الإنسانية.

رابعاً: مشاركة الأبناء مشاعرهم واهتماماتهم وأحلامهم:

لا يسعد الأبناء شيء مثل ما يسعدهم أن يلج الآباء عالمهم الخاص، وأن يتعرفوا على ما بداخلهم ليساعدوهم في تحقيق أحلامهم.

ولا يؤرقهم شيء مثل شعورهم بأن آباءهم لا يأبهون بطموحاتهم الشخصية أو يلتفتون لميولهم ورغباتهم، فيحملوهم اعتماد خياراتهم التعليمية والقبول بالعلاقات الاجتماعية التي يفرضونها عليهم دون أن يبذلوا جهداً في الإصغاء إليهم، أو يمنحوهم فرصة للتعبير عما يريدون!!

لا شك أن التسلط الأبوي مدعاة لنفور الأبناء ورفضهم للنصائح الفوقية وقد يصطنعون اللامبالاة ويظهرون التمرد على توجيهات الطرف الذي يرونه مركزياً في إدارته للأسرة.

ولربما بالغ الأبناء في ردود أفعالهم السلبية إزاء تسلط آبائهم، وتمادوا في اقتراف الأخطاء كنوع من التعبير العلني عن الرغبة في التحرر والتفلت من القيود الأسرية ما ينتج عنه فقدان المراهق القدرة على السيطرة على زمام نفسه، وقد يسلمانه إلى الطيش والتفلت والحماقة.

خامساً: إثارة أجواء أسرية واعدة وحافلة:

ونقصد بها إضفاء أجواء إيجابية مفعمة بالعاطفة الذكية،

ومسيّجة بالحب العميق ومحاطة بالرغبة في التقارب مع الأبناء روحياً ونفسياً ووجدانياً عبر اعتماد اللغة السهلة والبسيطة، وإضفاء لغة حية إيجابية تعتمد على التشجيع والاستحسان، وتعلي من ذكر إيجابيات الأبناء فرداً فرداً، كما تبادر إلى فتح المجال لهم للحوار والمناقشة.

وكلما كانت الابتسامة حاضرة كلما أصبح اللقاء العائلي أكثر قدرة على توصيل الرسائل الإيجابية المتبادلة بين أفراد الأسرة مما يشجع على المزيد من التواصل والحوار، ويكسر الحواجز، ويذيب الخلافات، ويقرب بين المسافات الفكرية والتوجهات الشخصية.

وكل تلك الثمرات جديرة بأن لا تفوت أو تضيع.

التربية الإيجابية هي عنوان السلوك المتحضر والذوق الرفيع.

ودليل على ذكاء عاطفة الأبوين، وسلوكهما المتحضر. خاصة وإن مستقبل الأبناء ـ في كثير من الأحيان ـ يرسمه الآباء خطوة بعد خطوة.

❀ ❀ ❀

الصحة النفسية للآباء،
منطلق النجاحات التربوية الكبرى

سؤال يطل برأسه أمام كل باحث يتناول شؤون الأسرة ويحلل قضاياها.

سؤال متجدد يلح علينا كلما هممنا بأخذ جانب من جوانب الحياة الأسرية، وأثرنا أحاديث تهم الآباء، وتحتل مساحة من التفكير لديهم حول المصادر التي تمنحهم الطاقة، وتهيئ لهم مزيداً من المعرفة بكيفية تفعيل أدوارهم التربوية، وترشيد أدائهم في محيط الأسرة على النحو الذي يحقق طموحهم، ويكفل لهم التميز في رعاية الأبناء، والتوفيق في أدوارهم الفائقة القيمة.

التعرف على مصادر التنمية المعرفية للأبوين يحتاج إلى جهد ومثابرة لكي ينعما بالحصيلة التي يريدان، ويظفر كل واحد منهما بإجابات مقنعة للأسئلة التي تفرض نفسها على كل مرب حريص على الأمانة التي أوكلت إليه.

يظن بعض الآباء المتعجلين أن مجرد الحزم والنظام يكفيان لضبط إيقاع سلوك الأبناء، وترشيد سيرهم، وتعويدهم على اختيار السلوك الإيجابي والمحافظة عليه.

والرد على هذه الفكرة هو النفي بالتأكيد، فمع التسليم بأن الحزم والنظام هما وسيلتا ضبط وحماية ضد الانفلات والفوضى إلا أنهما لا يكفيان بدون وجود ذخيرة من المشاعر الإيجابية تملأ النفس غنى، وتحافظ على طلاقة الوجه، وعذوبة الحديث كما تمنع من اللجوء إلى العنف لفظياً كان أم سلوكياً، وتضاعف مساحة التفاؤل بإمكانية رؤية الغرس وقد كبر ونما وأينع، ورؤية تلك البراعم ـ التي لم يبخل عليها بجهد أو مال ـ وهي تحقق الأمنيات التي كانت مخبوءة في عالم الغيب، وتحول الأماني البكر إلى واقع يسعد به الآباء.

تعد الصحة النفسية مصدر كل سلوك إيجابي يصدر من الإنسان ويعد المورد المتجدد من الطاقة الذاتية التي تعزز من أداء الأبوين وتحقق فاعليتها كما تنقي البيئة الأسرية من عوارض سوء الفهم، أو موانع الاتصال بين أفراد الأسرة.

هي إشراقة القلب المفعم بالرجاء، وشرارة العقل المبدع والقادر دائماً على ممارسة التفكير الإيجابي رغم تغير الأوضاع، كما أنها الباعث على التواصل المبني على الثقة المتبادلة مع الآخرين.

والبوصلة التي تضبط اتجاه الأساليب التربوية، وتحمي الأسرة من العنف بشتى صوره وأشكاله.

أعراض تدهور الحالة النفسية:

١) النظرة السلبية للحياة.

٢) النظرة المتدنية إلى قيمة الأسرة في حياة الفرد.

٣) الأحكام المسبقة ضد الآخرين (أفراد الأسرة أو عامة أفراد المجتمع).

٤) الجفاف والجمود والتعصب للرأي.

٥) المطالبة بالحقوق، وتجاهل أداء الواجبات.

٦) الجهل بطرق الاتصال الفعال (مع العائلة أو سائر الناس) مع الإصرار على الإبقاء على العلاقة في حالة توتر واضطراب.

٧) النظرة المتدنية إلى النفس.

٨) عقدة المطالبة بالكمال (إما بتكليف النفس فوق طاقتها، أو مطالبة الآخرين بما ليس في طاقتهم القيام به).

٩) إظهار التبرم، والجأر الدائم بالشكوى من كل شيء.

١٠) غياب روح التفاؤل.

من مظاهر الصحة النفسية:

١) النظرة المتفائلة إلى الحياة

٢) النظرة المتميزة إلى قيمة الأسرة ومكانتها ودورها في حياة الفرد.

٣) الثقة بالذات والآخرين.

٤) المرونة الفكرية، واللياقة النفسية، والرغبة في التوصل دائماً إلى تفاهم حقيقي مع دائرة الزملاء والأقران ناهيك عن الأهل والأبناء.

٥) الحرص على تنفيذ الواجبات وتجويد الأعمال.

٦) مد الجسور مع الآخرين، والتواصل الفعال مع المسؤوليات المختلفة في الحياة.

٧) القدرة على مواجهة الواقع، والتصدي للأزمات الطارئة، والأحداث المفاجئة.

٨) القدرة العالية على ضبط النفس أمام تصرفات الصغار، والمحافظة على اللغة الحوارية الهادفة مع أفراد الأسرة.

٩) التعبير اللفظي والسلوكي عن العاطفة تجاه الأبناء بدافع الحرص على إشباعهم عاطفياً، وحمايتهم من تسول الحب من الآخرين.

١٠) القدرة على الاعتذار وفتح قنوات الحوار لسماع وجهات النظر المختلفة.

١١) العمل على تكوين القناعات، والتخلي عن اللغة الفوقية القائمة على إصدار الأوامر والأحكام.

١٢) التدرج في التأديب، والانتقال المرحلي أثناء تدريب الصغار على الممارسات الإيجابية.

١٣) المصداقية في القول والفعل، والمواءمة ما بين النظرية والتطبيق، وبين الفكرة والسلوك، على النحو الذي يسهل للأبناء الامتثال لتوجيهات الآباء، ويشجعهم على التقليد الواعي للممارسات المسؤولة التي تصدر من الأبوين، وتمهد بدورها لسلوك ملتزم يصدر ممن لم يعانوا من أعراض الانفصام النكد ما بين الفكرة والسلوك من قبل

ذويهم كما عانى الأبناء ـ غير المحظوظين ـ ممن فقدوا النموذج العملي في محيطهم الأسري وافتقدوا القدوة السلوكية في حياتهم اليومية...

مقصد القول:

إن السبيل الأمثل لرعاية أبوية فائقة يحتاج إلى وعي أبوي يستبق الأحداث، ويمهد لممارسة تربوية واعدة، مبرأة من النظر باستخفاف إلى رأي أحد الأطراف، ولا يعاني القائمون عليها من انخفاض الدافعية نحو تفعيل العلاقة بكافة أفراد الأسرة.

الطريق إلى تلك الممارسات الواعية موصول بصحة الأبوين النفسية، وذكائهم الوجداني وتألق عاطفتهما التي لن تصل إلى ذروتها إلا بتحقق الصحة النفسية التي يتمتع بها كل فرد ناضج، سوي الروح، قوي الإرادة، صادق في مشاعره تجاه عائلته.

أما العقد النفسية التي يعاني منها أحد الأبوين فليست سوى بؤر لتفجير السلوكيات الضارة بواقع الأسرة، وبمستقبلها.

وعليه، فلا بد من ترتيب الأولويات، وتفقد الذات، ومعرفة جوانب الضعف في شخصية الأب أو الأم، والإسراع في تدارك الخلل.

حيث أن كل إناء بما فيه ينضح، وما في الإناء الأبوي سيستهلكه الأبناء شاؤوا ذلك أم أبوا، إذ لا خيار للصغار إلا ما اختاره لهم الكبار، وتحديداً الأبوان على وجه الحصر والدقة.

❀ ❀ ❀

القدوة الوالدية
والأثر على أرض الواقع

يعتبر التطابق بين الأقوال والأفعال الصادرة من الأبوين الطريقة الأكثر أمناً والأجدى أثراً في تحقيق الأهداف التربوية السامية التي ينشدها الآباء والأمهات.

كما أن مطابقة الأقوال للأفعال أمر يدل على تصالح الفرد مع ذاته ما يمهد للحصول على مخرجات تربوية أفضل.

الآثار المرجوة من تمثل الآباء للقيم العليا:

١ ـ ارتفاع نسبة مصداقية التوجيهات الأبوية، وارتفاع رصيد الثقة بين أفراد العائلة.

يتميز الأطفال بدقة الملاحظة وبالقدرة الفائقة على رصد السلوك الأبوي ومتابعته أولاً بأول في الليل والنهار، وهم يفعلون ذلك ببراءة، ويستمتعون بالتعرف على آبائهم عن كثب واكتشاف صفاتهم التي ربما جهلها أغلب الناس بينما هي أمام الأبناء كتاب مفتوح يقرؤون محتوياته سطراً سطراً وكلمة كلمة.

٢ ـ يتم اختضار المسافة بين الأبناء وبين الأهداف التي تتوخاها التربية الشاملة فاستقامة الأبوين تمثل بحد ذاتها حافزاً حقيقياً للأبناء كي يبادروا بالتقليد، والذي سيتحول مع الزمن إلى عادات إيجابية محكمة يصعب التخلي عنها أو التنكر لها يوماً من الأيام.

علماء التربية في القديم والحديث يؤيدون هذا الرأي ويذهبون إلى أن لغة المحاكاة والتقليد هي الرد الطبيعي والتصرف الأكثر صدقاً وتعبيراً عن إحساس الأطفال تجاه سلوك الآباء، فالطفلة الصغيرة تختار الوقوف إلى جانب أمها في الصلاة دون تكليف من أحد، وبما أن تأثير حاسة البصر على الدماغ يفوق تأثير حاسة السمع فإن اللغة البصرية يكون لها الأثر الأكبر في سرعة الملاحظة ومن ثم في توصيل ما تلتقطه العين إلى العقل بسرعة تفوق سرعة الأذن، مما يؤكد قوة حاسة الإبصار مقارنة بحاسة الاستماع.

٣ ـ تؤثر استقامة الأبوين إيجابياً على العقل الباطن الذي يكتسب مناعته وجاهزيته لبث رسائل إيجابية لصاحبه نتيجة الاستقامة التي تترسخ في وجدان الابن ويتجذر شعوره بقيمتها في أعماقه.

ومما لا يخفى على القارئ النابه أن العقل الباطن يتأثر بكثرة التكرار والمواظبة للأفعال أو الأقوال سواء كان ذلك صادراً من الإنسان ذاته، أو من خلال مشاهدته للسلوك بشكل متكرر ما ينتج عنه إيمان ويقين بصدق التوجه الذي يسير عليه الأبوان.

٤ ـ حينما تحدث المحاكاة والتقليد من قبل الأبناء لفعل الآباء فإن ذلك يتبعه بالضرورة المواظبة والاستمرار ما يعني استنساخ السلوك الجيد ذاتياً وبطريقة انسيابية تضمن بقاء الابن في دائرة الصلاح طيلة حياته.

٥ ـ تكون التغذية الراجعة بطبيعة الحال متوافقة وطموحات الآباء الأمر الذي يؤكد لهم سلامة منهجهم التربوي، ويرفع لديهم درجة الإيمان بأنه لا فلاح تربوي إلا تحت ظلال الاستقامة الأبوية، وبأن آلاف المواعظ لا تستطيع أن تفعل فعل السلوك الجاد المتوافق مع الرؤية الإسلامية والمنضبط بتعاليم الدين السامية.

٦ ـ يحدث نوع من التمازج الفكري بين توجهات الآباء وقناعات الأبناء ما ينتج عنه تكوين رؤية مشتركة تبدأ بالنمو والظهور منذ الصغر ثم تزدهر وتصقل حين يكبر الأبناء ويزداد تقديرهم لقيمة المنهج الذي يسيرون عليه، وكلما كانت فرص النقاش والحوار متوفرة وقائمة كلما زاد التقارب على مستوى الفكر كنتيجة منطقية لذلك التمازج النفسي والعاطفي بين أفراد العائلة.

وكذلك شان الخلفية الثقافية التي كلما كانت أصيلة وراسخة كلما ساهمت في إثراء الصغار وساعدت على توسيع مداركهم خاصة إذا ما لجأ الآباء لوسائل بصرية مساعدة تكون مادتها القصص، والكتب الثقافية المتنوعة.

٧ ـ يتمتع الأبناء الذين تهيأ لهم وجود المثل والقدوة في بيئتهم بشخصية قوية تدفع الآخرين لاحترامهم وتساعدهم على أن تنمو مداركهم وتتوزان مشاعرهم وأحكامهم في الحياة تبعاً للتربية المعيارية التي توفرت لهم، في الوقت الذي يحرم فيه أقرانهم ـ الذين فقدوا المثل والأسوة في شخصية أبائهم ـ مثل تلك الصفات مما يحول بينهم وبين التوازن في المشاعر ويجرهم لسلسلة من الأخطاء التي مصدرها تجارب لم يتوفر لها الاختيار الدقيق الأمر الذي يخلق حالة من الشعور بالنقص لدى الفتية والفتيات المحرومين من مصادر التربية الوالدية الصحيحة.

٨ ـ تعرض الأبناء الذين فقدوا المظلة التربوية الآمنة لبعض الأخطاء السلوكية يعرض جهود آبائهم إلى البقاء في دائرة ردود الأفعال والتي تأتي متشنجة وعنيفة في ظل المعاناة النفسية التي تسببها التصرفات غير المسؤولة لأبنائهم، والتي تستفز مشاعرهم وتحملهم على القيام بخطوات مرتجلة طابعها الإنقاذ وليس الوقاية، ما يمثل منعطفاً حاداً في العمل التربوي الذي يراهن على السياسة الوقائية وليس سياسة الإنقاذ واستدراك الخلل المتنامي.

٩ ـ يتعدى أثر محاكاة سلوك الأبوين مستوى التأثر المباشر إلى مستوى السلوك الذاتي ليتحول إلى عادة يصعب مفارقتها الأمر الذي يعكس التواؤم مع الفطرة انسجاماً مع المبدأ النبوي الذي أكد عليه الرسول الكريم ﷺ في قوله: «كل

مولود يولد على الفطرة فأبواه إما يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[1].

مقصد القول:

يعتبر تقليد الطفل لأبويه هو صورة أولية لشكل سلوكه في المستقبل.

ولتوضيح حقيقة العلاقة التي تربط الطفل بالسلوك المتكرر نشير إلى نتائج إحدى التجارب العلمية التي قام بها أحد الباحثين للتعرف على دور تكرار السلوك في التأثير على العقل.

فقد قام ذلك الباحث بإجراء تجربة على أحد القرود عبر تحريك أصبع القرد إلى الأمام والخلف ثم قام بقياس الارتباطات بين خلايا المخ العصبية الناتجة عن تكرار تلك الحركة، وقد لاحظ أن الخيوط التي تربط بين الخلايا العصبية قد أصبحت أقوى من قبل.

وبعد تحريك أصبع القرد مئات المرات التحمت الخلايا ببعضها مكونة روابط لا يمكن اختراقها.

وللقارئ الكريم أن يتأمل هذه التجربة التي استقى منها الباحث نتيجة هامة مفادها أن الارتباطات العصبية بين خلايا

---

(١) عن أبي هريرة أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟»** ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾.

صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢٠٤٧ (٢٦٥٨)

الدماغ لدى الإنسان تتكون بنفس الهيئة والصورة.

ومن خلال تجاربنا اليومية مع أنفسنا نلحظ قوة العادة ودورها في صياغة السلوك، وصعوبة التخلص منها إن كانت سيئة لا لشيء إلا لأن خلايا الأعصاب الدماغية قد كونت ارتباطاً بين بعضها البعض عبر توالي الأيام والشهور في تكرار الفعل ذاته.

ومن هنا فإن اعتماد الفعل الحسن من قبل الأبوين كعادة دائمة يعتبر من المعاني التربوية الصحيحة وذات الأثر الفعال.

المرأة بين البيت والعمل

ـ هل تخرج المرأة إلى ميدان العمل أم تبقى في المنزل؟

ـ ما هي الأضرار الناجمة عن خروج المرأة للعمل؟

ـ لماذا لا يكف المتحاملون على المرأة عن مطالبتها بالجلوس في البيت والانزواء بعيداً عن المجتمع؟

ـ كيف يمكن القبول بفكرة تعطيل نصف المجتمع رغم ما يترتب على العمل بها من تخفيض للإنتاجية وإضعاف للاقتصاد القومي؟!

أسئلة كثيرة، وافتراضات كبيرة، وآراء ليس لها حصر ولا عد، وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان، وافتراءات على الحقائق، ومزايدات في قضايا لا تحتمل الشك، والوقوف في موقف القاضي، ولكن دون وجود أدلة قاطعة تسعف القاضي على إصدار حكم عادل!!

قضية عمل المرأة من القضايا الساخنة، والمثيرة للجدل الطويل، ورغم أنها انطلقت منذ عقود في الدول العربية التي نالت الاستقلال وبدأت مشوار التنمية الاقتصادية، وفتحت المجال

لتعليم المرأة، فإنها لم تفقد سخونتها منذ ذلك الوقت إلى لحظة كتابة هذه السطور!!

وبين مؤيد ومعارض، ومناد بالخروج إلى العمل وآخر يطالب بالجلوس في البيت تناثرت أوراق هذه القضية الاجتماعية، واختلطت الحقائق بالمزاعم في حين كان الكشف والظهور عن الجيد والرديء من الأفكار المرتبطة بهذا الموضوع هو عمل يقع في حكم الواجب، حتى يمكن البناء بعد ذلك على أساس صحيح ومقبول.

من أجل بناء قاعدة صحيحة يمكن الوقوف عليها يجب أن تتوفر إجابة شافية على العديد من الأسئلة المرتبطة بالموضوع، والتي من أهمها الأسئلة التالية:

أولاً: هل يعني جلوس المرأة في البيت بالضرورة عدم قيامها بأي عمل له مردود إيجابي على المجتمع، وهل ينقطع الحبل بالمرأة فلا تقوى على خدمة المجتمع وهي تلازم بيتها؟

في الواقع لم يشبع هذا الموضع بحثاً ودراسة في عالمنا العربي لأن الرغبة في التقليد، ومحاكاة قشور المدنية الغربية أثرت عليه سلباً وفرغته من مضامينه وأبعاده الاجتماعية والإنسانية!!

ففي الغرب كانت هناك أسباب قهرية اضطرت المرأة للخروج من المنزل بعد أن أنهكت أوروبا بحربين عالميتين حصدت ملايين الرجال، وتركت ملايين النساء دون عائل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن طبيعة الدور الذي تؤديه المرأة المسلمة في محيط أسرتها يخولها سلطات أدبية لا تحلم بها

سواها من النساء في المجتمعات غير الإسلامية.

يرتبط دور المرأة داخل الأسرة بتنشئة أبنائها على قواعد وأسس تربوية نابعة من القيم والمبادئ الإسلامية وهو دور لا يمكن التنازل عنه تحت أي ظرف أو سبب.

ثانياً: كيف يمكن تقييم الأدوار التي تقوم بها المرأة داخل المنزل؟

تجيب عن هذا السؤال إحدى الإحصائيات التي أنجزت في فرنسا في الستينيات من القرن الماضي حيث خرجت معظم النساء إلى العمل وبقيت نسبة منهن ملتزمة بالأدوار التقليدية للمرأة داخل البيت، إذ بلغت مجمل الساعات التي عملت فيها المرأة الفرنسية داخل بيتها ٤٠ مليار ساعة في السنة في حين لم تتعد ساعات العمل للقوى العاملة من الجنسين خارج المنزل ٤٤ مليار ساعة[1]!!

وقد ساهمت هذه الدراسة في إبراز حقيقة في غاية الأهمية، وهي أن المرأة داخل المنزل (امرأة عاملة) وليست امرأة خاملة!!

أما في أمريكا فقد توصلت إحدى الدراسات التي هدفت إلى التعرف على عوائد العمل المنزلي إلى أن حوالي ثلث الناتج القومي تساهم فيه المرأة إذا جلست داخل المنزل إذا ما قيمت

(١) كيف تسهم المرأة في تنمية المجتمع وهي خارج بيتها. تحقيق هناء محمد.

www.saaed.net

الآثار الإيجابية من وجودها في البيت بأسعار السوق، حيث بلغ متوسط عائد الإنتاج المنزلي للمرأة الأمريكية حوالي ٦٠٪ من الدخل القومي للأسرة (الزوج والزوجة معاً) من عملهما خارج المنزل.

كما تساوت الخسارة المادية الناجمة عن خروج المرأة للعمل مع الزيادة النقدية التي تحققها المرأة من التحاقها بالقوى العاملة في القطاع العام أو الخاص.

ثالثاً: كيف يمكن الوصول إلى فهم أفضل في هذه القضية المتعددة الجوانب؟

وللإجابة على هذا السؤال علينا أن نعرف معنى المصطلحات المتداولة بين فئات المجتمع لكي يسهل علينا فهم المسائل بطريقة أفضل فالتنمية كما يقول د/ حامد الموصلي تعني تحقيق أعلى معدل نمو ممكن.

أما إذا نظرنا للتنمية باعتبارها تحقيق للذات بالمعنى الحضاري الذي يدل على الارتقاء بالجماعة والأمة، فسوف يضاف إلى جانب الهدف الاقتصادي أهداف حضارية واجتماعية، وينظر إلى دور المرأة في التنمية من منظور مركب[١].

رابعاً: من يجب أن يحاسب، وأن يوضع عمله تحت المجهر، هل هو الملتزم بأولوياته أم هو المفرط فيها؟

إن هذا السؤال يستحوذ على اهتمام كل من يتوخى

---

(١) المرجع السابق.

الموضوعية والوصول إلى الحقائق قبل أن يصدر أحكاماً نهائية حول هذا الموضوع المتشعب الجوانب.

ولو التزم الجميع بالاحتكام إلى مبدأ الوفاء بالأولويات من قبل الزوج والزوجة لكنا قد وفرنا على أنفسنا عناء الجدل في هذه القضية.

فمن الثابت أن التفريط في الدور الأول هو بمثابة إعلان فشل ذريع لأي محاولة لاستيعاب أكثر من دور في وقت واحد.

وعليه، فإن المرأة التي تظهر عليها أعراض التشتت الذهني، أو القلق النفسي، والتي تلجأ إلى العنف مع أطفالها للتعبير عن غضبها المكبوت من تحمل تبعات الوظيفة مضافاً إليها التكاليف الأسرية ينبغي أن تأخذ فترة راحة لتقوم بعملية تقويم وحصد للمكاسب والخسائر من دخولها ميدان العمل.

وإذا ما وجدت أن الخسائر أكبر فعليها اتخاذ قرار تعود مصلحته لصالح الأبناء والأسرة بالدرجة الأولى.

من جهة أخرى فإن تركيز المرأة على دورها الأسري من شأنه أن يحولها إلى أم مبدعة، وزوجة عصرية، ومدرّسة قديرة، ومشرفة إدارية تقوم على برمجة نظام أسري فعال يتيح للجميع إنجاز التزاماتهم في أجواء مريحة وفرص مواتية، كما يتيح لها متابعة النمو النفسي والفكري والخلقي لأبنائها، فتشيع جواً يملأ نفوسهم بالثقة ويدفعهم إلى المزيد من النجاح في علاقاتهم الاجتماعية ويساعدهم على تحقيق تقدم ملموس في أدائهم التعليمي، ونشاطهم الإنساني المتنوع.

وكلما اجتهدت المرأة في تنمية مواردها المعرفية واجتهدت في تطوير معرفتها بالأساليب الفعالة لإدارة الأسرة من النواحي الاقتصادية والتربوية كلما ساهم ذلك في تقديم نماذج من الأفراد الأسوياء نفسياً الذين يتمتعون بدرجة متقدمة من الإشباع العاطفي، إلى جانب النضج السلوكي، والتوازن الانفعالي وهي مؤشرات تدل على كفاءة المرأة في التعامل مع الإنسان وقدرتها الفائقة على النجاح في توظيف طاقة أبنائها فيما يحقق أهداف المجتمع في بناء الإنسان الصالح المنتمي إلى أمته ووطنه.

يعتبر العنصر البشري هو المحرك الأول لعجلة التنمية البشرية ولذلك فالنجاح في تكوين الشخصية الجادة هو خير استثمار لمكوث المرأة في البيت.

تشير الدراسات الحديثة إلى أن تنمية وتطوير العنصر البشري يساعد بنسبة ٩٠٪ في تطوير العجلة التنموية بينما تحرز الآلات والأدوات المساعدة الأخرى على نسبة ١٠٪ فقط من العوامل التي تساهم في زيادة سرعة الإنتاج، وتطوير العمل التنموي القائم على مبادئ الجودة الشاملة التي ينافح عنها الفكر الحديث اليوم كما وضع دعائمها الإسلام بالأمس وحث على اعتمادها كنمط سلوكي وخيار حضاري لا يمكن التنازل عنه، إضافة إلى الدراسات الاقتصادية التي انتهى بها البحث إلى أن الإنسان هو المحور الذي يجب أن تتكاتف مختلف الجهود لتنميته والارتقاء به منذ لحظة ميلاده حتى اللحظة التي تتوقف فيها قدرته على العمل في مرحلة الشيخوخة.

ولأن السنوات الأولى من عمر الإنسان هي التي تحدد

ملامح شخصيته فإن وجود الأم بشكل دائم وملازمتها لطفلها وتلقينها له المبادئ الأولى في العلم والمعرفة هو السبيل للحصول على الفرد الناضج الراغب في تحسين أدائه باستمرار.

وبعد:

كيف يمكن تقييم عمل المرأة، وما هو المعيار النهائي الذي تستند إليه القرارات المتعلقة ببقائها أو خروجها إلى العمل؟

لعل أقرب إجابة على هذا السؤال يتعلق بالجانب الخاص بأهداف المرأة من العمل خارج الأسرة.

فإذا كانت أهدافها اقتصادية بالدرجة الأولى فمن الواجب أن تهيئ البيئة الآمنة لأطفالها في وقت غيابها عن البيت والتي تطمئن إلى ملاءمتها لتنشئة الصغار في ظروف معتدلة ومقبولة.

أما إذا كان الدافع هو تحقيق الذات والشعور بالحاجة إلى الإنجاز فعلى المرأة أن تتأكد أن الإنجاز الأكبر هو إنتاج عناصر بشرية سوية يفتخر بها المجتمع، ويحتفي بها العالم.

كما لا يتصور أن ينتهي دور الأم عند تحضير الطعام والعناية بشؤون البيت، فالثابت أن أدوارها التربوية هي محك اختبار إرادتها ووعيها وكفاءتها في صناعة الرواد[1].

ومن الخطأ الكبير أن تتشبث المرأة في القيام بأدوار روتينية باردة داخل الأسرة دون أن تضيف إلى رصيدها من الأمومة ما يجعلها قمة تربوية تنتج أروع النماذج، وتهدي أمتها عناصر فاعلة

---

(١) صناعة الرواد، مريم عبدالله النعيمي، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

ترقى بالحياة إلى آفاق عليا أكثر ثراءً واقتداراً على التفوق في أداء الأدوار والتألق في العطاء إلى المدى البعيد.

بالطبع لا يمنع مثل هذا الرأي أن توسع المرأة دائرة نشاطها الاجتماعي إذا استطاعت أن تؤمن بيئتها الأسرية.

ويعتبر هذا نجاحاً مضاعفاً ومكسباً جديداً يضاف إلى سجل المرأة المشرف الذي سطرت به منذ بدء وجود الإنسان على هذه الأرض وإلى اليوم أروع الأدلة على القدرات اللامحدودة التي وهبها لها الله تبارك وتعالى.

كما أن المشاركة في التنمية الاجتماعية يمكن أن تتحقق وهي في البيت إذا ما ساهمت بإنتاج مكتوب تنشره في الصحف والدوريات أو من خلال الشبكة الإلكترونية التي تتسع خيارات التعامل معها وتوظيفها لخدمة الأمة يوماً بعد يوم.

وسائل متنوعة وخيارات متعددة يمكن للمرأة أن تحقق من خلالها أعلى درجات المشاركة الإيجابية في المجتمع دون الحاجة إلى الالتزام بالنظام الوظيفي إذا ما استصعب عليها الأمر، أو إذا ما قررت هي أن هذا النوع من النشاط الإلكتروني أو الإعلامي الذي تديره من داخل المنزل هو الذي يشعرها بالإنجاز، ويحقق رغباتها الدفينة بأن يكون لها دور ملموس في خدمة المجتمع والتعبير عن نبضه ووجدانه[١].

---

(١) من أجل تمثل رؤية أعمق لدور الموقف الإيجابي في تحرير الإرادة وزرع الثقة بالنفس ننصح بالرجوع إلى كتاب، موقفك الإيجابي أغلى ما تملك، إلوود تشابمان، ترجمة: مفيد ناجي عودة، دار المعرفة للتنمية البشرية: الرياض ١٤٢١هـ.

كيف نفهم الزواج المبكر
وكيف نقيّم التجربة؟

ما أن يفتح موضوع الزواج المبكر أمام مسامع الناس إلا وترتفع أيد كثيرة لإبداء رأيها وقول كلمتها والتعليق على هذا الموضوع الحيوي والهام.

وهناك مجموعة من الأسئلة الجديرة بالطرح على مائدة البحث فإذا عرفنا كيف نجيب عليها سهل علينا بعد ذلك أن نقف موقف المؤيدين أو المعارضين لها.

ومن هذه الأسئلة:

١ ـ هل المجتمع بحاجة إلى هذه التجربة أم أنه في غنى عنها؟

٢ ـ هل تساعد هذه التجربة على الوصول إلى حلول عملية لمشكلات اجتماعية أم لا؟

٣ ـ ما هو رأي الشباب من الفتية والفتيات في موضوع الزواج المبكر؟

٤ ـ ما هي صورة المجتمع الحالية وأغلب الأسر تتجه إلى تأجيل الزواج إلى ما بعد التخرج؟

٥ ـ ما هي الصورة الحقيقية للتجربة العملية للزواج المبكر هل هي صورة مشرقة أم ليست كذلك؟

٦ ـ هل توجد فوارق حقيقية في نتائج الزيجات المتأخرة مقارنة بالزيجات المبكرة أم أن التجربتين تحكمهما الظروف ذاتها وتخضعان للمنطق ذاته؟

٧ ـ ما هو واجب الأسر تجاه هذه القضية وما هي الأدوار المرجوة منها؟

٨ ـ ما هو واجب المجتمع تجاه هذه المسألة وما هو الدور المطلوب منه؟

٩ ـ وأخيراً وليس آخراً كيف نحمي تجربة الزواج المبكر من الفشل وكيف نساهم في مرور آمن لسفينة الزوجين دون خسائر تذكر أو معوقات تقهر؟!!

إجابات على تلك التساؤلات:

١ ـ هل المجتمع بحاجة إلى هذه التجربة أم أنه في غنى عنها؟

لا ينكر أحد من أبناء وقتنا الحاضر أن العزف على وتر الغرائز أصبح عزفاً جماعياً لافتاً بعد أن كان في مطلع القرن الفائت عزفاً نشازاً ينكره عامة المجتمع ويرفضه سوادهم.

أما في وقتنا الحاضر وساعتنا الراهنة فقد تواترت ألحان مزعجة تصدر عن جوقة مكونة من أكوام من البشر لها ملايين المعجبين يرددون ألحانها ويحفظون كلامها بصورة تدعو إلى الرثاء مما يوجب الالتفات إلى خطورة هذا التداعي والانسياق

وراء العابثين المروجين للخروج عن قيم المجتمع ومبادئه، المساهمين في استثارة غرائز الشباب بشكل لم يسبق له مثيل من قبل حتى صار الشاب محاصراً بالعروض الهابطة يراها أينما اتجه، وتطارده أينما حل واستقر، وكأنه كلما حاول تجاهلها أجابته بلسان حالها قائلة: وهل سأكفّ عنك أو أيأس منك أو أتخلى عن تزيين الباطل لك وتحبيبه إلى نفسك؟ إنني لن أنسحب ولن أعلن الهزيمة !!!

وللإسلام كلمته في هذه القضية:

من نعم الله علينا أن الإسلام لم يترك قضية من قضايا الحياة إلا وأبدى رأيه فيها سواء بالأمر أو النهي أو الإباحة أو الكراهية.

فإذا استفتينا الإسلام ـ وهو لا شك مفتينا ـ فإنه سيجيبنا بنصوص واضحة وبأدلة ثابتة من السنّة المطهرة على حرصه على الزواج المبكر ودعوته صراحة إلى ذلك في قول الحبيب المصطفى ﷺ: **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»** (رواه البخاري ومسلم).

في الحديث بيان للعلة الأصلية لهذه الدعوة، وهو كون الزواج أغض للبصر وأعف للفرج مما يؤدي إلى مجتمع نظيف خال من العقد النفسية والأمراض الاجتماعية الناتجة عن إطلاق البصر في الأعراض ثم وقوع ما هو أخطر من النظر تحت إلحاح الغريزة التي لا تجد لها طريقاً طبيعياً للإشباع!!

٢ ـ هل تساعد هذه التجربة على الوصول إلى حلول عملية لمشكلات اجتماعية أم لا ؟

إن المناخ المزكوم الذي يطارد شباباً كثر يجعل من تأجيل الزواج أمراً غير مستساغ، ويعد نوعاً من المكوث في حيز التفرج على المشكلة دونما التقدم خطوة إلى الأمام لمنع حدوث اختراقات في سلم القيم الاجتماعية.

ولكن ما من مجيب:

لا يتردد بعض الأبناء ـ وهم على أعتاب الدراسة الجامعية ـ من مطالبة آبائهم بتزويجهم، غير أن رد الفعل الأبوي يأتي ـ في كثير من الأحيان ـ ممتعضاً وبارداً.

فمع الأسف الشديد تتجه أغلب الأسر في وقتنا الحاضر إلى تبني وجهة النظر القائلة بأن الزواج المبكر هو مغامرة غير محسومة العواقب، إضافة لكونه يمثل عبئاً مادياً إضافياً يلقى على كاهل الأبوين دون مبررات مقبولة.

ماذا عن الواقع؟

هل يطيح الزواج المبكر بطموح الأبوين أم أنه يتيح لذلك الطموح أن يرى النور ويتجسد في فترة قياسية؟

وتجارب آباؤنا تنطق بالدليل:

لماذا نذهب بعيداً ولا نستنطق الواقع ؟

إن التفاتة واحدة إلى آبائنا ومن بقي من أجدادنا يحكي لنا

الحقيقة ويسفر عن جوهرها من حيث كونها تجربة ناجحة أذكت فيهم الطموح وأشعلت لديهم الحماس ودفعتهم إلى مزيد من العمل والإنتاج!!

هذا واقع الآباء ينطق بصراحة ووضوح بأن عامتهم ـ إلا ما ندر ـ قد تزوج مبكراً وهو في سن الثامنة عشرة أو بعدها بقليل ومع ذلك ساهم هذا الزواج بشكل كبير في نضجهم واستيعابهم لأسرار النجاح في الحياة، ومن ثم انطلقوا تجاراً وبحارة وبناة للحياة في ظروف بالغة القسوة وفي أوضاع حرجة وقد هيأ لهم الزواج المبكر الاستقرار النفسي الذي ينشدون.

ولو سألنا آباءنا ـ ونحن كثيراً ما نسألهم ـ عن تقييمهم لتجربتهم في الزواج المبكر لابتسموا وأثنوا على التجربة وأخبرونا بأنهم اتخذوا القرار الصحيح في الوقت الصحيح.

واقع حال الطلبة المسافرين لطلب العلم خارج أوطانهم يؤيد التجربة:

تستحق دونما شك تجربة الزواج المبكر للطلبة المغتربين أن نتوقف عندها ونتأمل نتائجها لنتعرف على جانب آخر من جوانب هذا الموضوع الهام.

وعلى امتداد سنوات كنت فيها متابعة لعديد من المقابلات المتلفزة أو المكتوبة مع الشباب المغتربين أو مع من كانوا يوماً شباباً مغتربين ثم عادوا لأوطانهم وقد تزوجوا في مرحلة الدراسة الجامعية وقفت على آراء إيجابية تجاه التجربة من أفواه الشباب أنفسهم وقد أثنوا على اختيارهم وعلى تجاربهم الشخصية في هذا

الجانب، وأكدوا على أن زوجاتهم كن وراء تفوقهم، حيث ساهمت تلك التجربة في إثارة الطموح لديهم مما ضاعف من إنتاجيتهم، ووضعهم في دائرة النجاح والتميز.

ومن تحفّظ منهم على تجربته أو ذكر أنها تجربة فاشلة فإنه أرجع السبب إلى زواجه من أجنبية وليس إلى شيء آخر ما يعني أن تجربته الشخصية كان متوقعاً لها الفشل من هذه الزاوية فقط وهي زاوية المرأة الأجنبية ولا يعود الأمر إلى خطأ التوقيت بأية حال.

وللشعرواي رحمه الله رأي في هذه المسألة:

في مقابلة صحفية مع فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله ذكر أنه تزوج مبكراً وهو لا زال طالباً في الجامعة، وإن الذي استعجل على تزويجه هو والده الذي أصر على ذلك لأنه كان يدرس بالقاهرة في الوقت الذي كان أهله يعيشون في الريف.

وقد أيّد فضيلة الشيخ الشعراوي رحمه الله هذه التجربة ورأى أن قرار أبيه كان في صالحه، وأن هذا الزواج المبكر أعانه على التركيز في دراسته ومتابعة تحصيله العلمي بصورة ترضيه وتلبي طموحه وشغفه في تحصيل المعرفة والاغتراف من بحر العلوم كما كان يتمنى وينشد.

ولا يتوقف الإيمان بدور الزواج المبكر في تحفيز همة الشباب للعلم والمعرفة لدى عقلاء المسلمين فحسب، وإنما يتعدى الإيمان بهذه القضية إلى الغربيين أنفسهم فهذا هو البروفيسور هاردن أستاذ علم النفس في جامعة هارفارد يقول: «إن الزواج المبكر لا يضر كما يعتقد البعض وخاصة بين طلاب

وطالبات الجامعة، إن الظاهرة التي يشاهدها الناس في الجامعات هي ظاهرة طبيعية ومفيدة، فالطالب المتزوج يدرك قيمة مستقبله».

٣ ـ ما هو رأي الشباب من الفتية والفتيات في موضوع الزواج المبكر؟

لا شك أن لسان حال الشباب يعكس حاجتهم لتسهيل مطالبهم المشروعة في هذا الجانب.

كما يدل على احتياجاتهم القائمة إلى تبني قضاياهم الشخصية دون تضخيم العوائق والعقبات والرضوخ تحت سيطرة سلوكيات وليدة وأوضاع مستحدثة صنعت من التفكير في الزواج أمراً بالغ الخطورة بعد أن وضعت له ضريبة باهظة الثمن من مهر وجهاز ووليمة وسائر الشروط التي لغمت مشروع الزواج وجنحت به نحو الغلو والمبالغة، وكأن الزواج لن يتم إلا بعصا سحرية تحقق لأهل العروس شروطهم غير المسبوقة، وتأتي بالزوجة على هودج من عاج أو ذهب، مكللة بالورود النادرة، ومحفوفة بالجواري والعبيد!!.

هذا المشهد الصاخب هو ما تتمناه كثير من الأسر لبناتها دون مراجعة للذات أو احتكام إلى ميزان غير ميزان الهوى والتقليد الأعمى!!

٤ ـ ما هو الاتجاه السائد في مجتمعاتنا اليوم وما هي ملامح التوجه القائم؟

تتجه مجتمعاتنا اليوم إلى تأجيل الزواج إلى ما بعد التخرج واستلام الوظيفة، والبيوت التي ترى غير ذلك باتت تغني خارج السرب وتسبح ضد التيار لا لشيء إلا لقوة تأثير الفكرة السائدة والتي أراها محدثة وغريبة عن تاريخ مجتمعنا وماضي آبائنا

وأمهاتنا فهم كما أسلفت كانوا يؤمنون بدور الزواج المبكر في استقرار الرجل والمرأة على حد سواء دون أن تكون العوائق المادية سبباً في تأخيره.

٥ ـ ما هي الصورة الحقيقية لتجربة الزواج المبكر، هل هي صورة مشرقة أم ليست كذلك؟

إن قراءة التجربة والتعمق في تفاصيلها ونتائجها هي الحلقة الوسطى التي سوف تربط بين كثير من الإجابات المنفصلة وستساهم في سد الفجوة القائمة بين النظرية والتطبيق.

فإن كانت نظرة المجتمع تتبنى كما أشرنا سابقاً تأجيل الزواج إلى ما بعد التخرج والحصول على الوظيفة فإن التطبيق وممارسة التجربة على أرض الواقع له شهادته بالتأييد أو الرفض.

ولعل قيام دراسات مسحية للزيجات المبكرة ونتائجها على المدى القريب والبعيد هو حاجة ملحة تطل برأسها الآن أكثر من أي وقت مضى وتضع كافة الغيورين والذين يعنيهم شأن هذا المجتمع وجهاً لوجه أمام هذه القضية ليقفوا على حجمها، ويحيطوا بنتائجها ليستخلصوا دروسها، ويقدموا الاقتراحات والتوصيات بشأن تفادي سلبيات التجربة ومضاعفة إيجابياتها.

٦ ـ هل توجد فوارق حقيقية في نتائج الزيجات المتأخرة مقارنة بالزيجات المبكرة أم أن التجربتين تحكمهما الظروف ذاتها وتخضعان للمنطق ذاته؟

مثل هذا السؤال يفتح المجال ليقول الحق كلمته، ويفصح الواقع عن أدلته.

فما الدليل على أن الزيجات المتأخرة أكثر حظاً في النجاح؟ وما الدليل على أن تأخير الزواج يعني فتح المجال لتفادي الأخطاء وتقريب المسافات بين الزوجين؟!.

إن تقريب المسافات وتحقيق الانسجام النفسي والفكري لا يحتكم إلى فارق نسبي في عمر الأزواج بقدر ما يحتكم إلى الخلفية الثقافية للزوجين، ونوع التربية الأخلاقية التي تلقياها، والمعايير التي ينطلقان منها ويحتكمان لها.

ولا شك أن هذه الاختلافات في المفاهيم والرؤى والأفكار إنما تتكون عبر سنين متوالية تبدأ منذ مرحلة الطفولة وتنمو مع نمو الإنسان وتتلون بتلون تنشئته الثقافية والاجتماعية.

التشابه في مكونات التربية وعوامل التنشئة الاجتماعية لكلا الطرفين تدفع باتجاه تحقيق التوافق والانسجام بينهما، والتغافل عن هذه المكونات في مقابل التركيز على سن الزوجين إلى ما بعد الثالثة والعشرين (وهو السن الذي يفترض فيه حصول الشاب على الشهادة والوظيفة)، يعتبر سطحية في التفكير وضحالة في الفهم، فالزواج هو أخطر مشروع في حياة الإنسان لما يترتب عليه من نتائج يعرفها الجميع ويدركون خطورتها، وعليه فإن تجزيئ النظرة، وغض الطرف عن كافة العوامل المؤثرة فيه هو أمر مرفوض ولا بد من تداركه وإصلاحه.

٧ ـ ما هو واجب الأسر تجاه هذه القضية وما هي الأدوار المرجوة منها؟

مساندة الابن قدر المستطاع لإنجاز هدف تزويجه عند أول

فرصة شريطة أن يكون الابن حسن التربية وقادراً على التوفيق ما بين الاتباط والدراسة وإذا ما وجد الأبوان أن ابنهما على خلق ودين فما المانع في أن يسانداه ويقدما له الدعم والمعونة حتى ولو كان على مقاعد الدراسة الجامعية طالما أن هناك تأكيد من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بإعانة الله لطالب الزواج[١].

٨ ـ ما هو واجب المجتمع تجاه هذه المسألة وما هو الدور المطلوب منه؟

دور المجتمع في احتواء احتياجات الشباب من الجنسين لا يقل خطورة عن دور الأسرة خاصة وإن المجتمع متهم بوسائل إعلامه المختلفة بأنه يقف وراء كثير من السلوكيات الخاطئة والممارسات المرفوضة التي يأتي بها بعض المقلدين من الفتيان والفتيات، تلك الممارسات التي سببت شرخاً في نفوسهم، وفراغاً في عقولهم وألهتهم عن أدوارهم الطبيعية في الحياة فساهمت في انجرافهم نحو الفساد وبالتالي ضاع بعضهم، وهو لا يزال في أول الطريق وفقد البوصلة ومعها فقد طوق النجاة حين اختلطت عليه السبل وتفرقت به الدروب!!

إن واجب المجتمع بمختلف هيئاته ومؤسساته هو تهيئة مناخ صحي يتسنى من خلاله للأفراد أن يلعبوا أدوارهم التنموية

---

(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»** قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. سنن الترمذي ج: ٤ ص: ١٨٤ (١٦٥٥).

بأعلى قدر من الكفاءة والتميز، ومطلب تزويج الشباب يستحق الكثير من الاهتمام لكون الأسرة تمثل صمام الأمان وبوابة التغيير الاجتماعي المطلوب.

هذا إن كنا جادين في التخلص من مشاكلنا الاجتماعية، وأزماتنا التي أفرزها عصر هائج لم يجد من يروضه بعد!!

❀ ❀ ❀

المد والجزر في الحياة الزوجية

بما أن السعادة الزوجية لا تكتمل إلا بتوفر السلوك الراقي المفعم بالدفء، والعاطفة الإيجابية الوارفة الظلال فإن تقليب الموضوع على وجوهه المختلفة، والبحث عن أسباب حضوره، وسبب انتفائه يعتبر مطلباً أسرياً لا غنى عنه.

التساؤل عن العوامل المساعدة على مزاولة تنطيق المشاعر، والسخاء في قول الكلمة الطيبة، واللفتة المعبرة التي تعد قرينة على استمرار الألفة والانسجام بين الزوجين يعد أمراً مشروعاً.

ولتفصيل هذه المسألة لا بد من ربط سلوك الزوجين بالقيم المتوفرة لكليهما حول منزلة الطرف الآخر في مؤسسة الأسرة، وعليه فإن أشهر محددات السلوك الزوجي يمكن عرضها على النحو التالي:

أولاً: طبيعة النظرة التي يستبطنها كلا الطرفين عن شريكه، والمنزلة الحقيقية التي يضعها فيه:

إن تكوين صورة ذهنية لكل طرف من طرفي العلاقة الزوجية مسألة في الغاية من الأهمية، ويترتب عليها جملة من النتائج الملموسة على أرض الواقع.

تكوّن هذه الصورة بطبيعة الحال يخضع لجملة من العوامل

والمسببات التي تعمل مجتمعة على رسم الصورة الذهنية، والحكم على القيمة الفعلية للشريك مما يترتب عليه ردود أفعال تتفق مع الصورة الذهنية المتكونة عنه سلفاً، وما عقد الزواج وتكوين الأسرة إلا مرآة تعكس تلك الصورة الذهنية المترسخة في أعماق الرجل والمرأة منذ سنوات عدة.

وعلى هذا نبني رأينا القائل بأن الرجل الذي تواترت على سمعه وبصره صور التقدير والاحترام للمرأة فإن احترامه لها مستقبلاً وشعوره بأنها جزء هام لا يستطيع الاستغناء عنه في حياته يعتبر شيئاً ممكناً نتيجة للمناخ الصحي، والتجارب الحياتية المبكرة التي أقنعته بأن المرأة شريك فاعل في الحياة، ولها من الحقوق مثلما عليها من الواجبات.

ثانياً: المرآة الاجتماعية، ودروها الرئيس في تحديد سمات الشريك رجلاً كان أم امرأة:

ما من شيء أربك منظومة التفكير، وأعطب العلاقات الزوجية مثل «المرآة الاجتماعية» التي حولت المرأة إلى متاع رخيص يمكن استبداله في أي وقت شاء الرجل.

وبدءاً من الأمثال الشعبية التي أشعرت المرأة بأنها ظل للرجل، والتابع الذليل له، ومروراً بالتجارب الاجتماعية التي أسست أركان المجتمع الذكوري، وغلّبت منزلة الرجل على حساب مكانة المرأة، وليس انتهاءاً بتشييئها وتسليعها كما نرى اليوم على شاشات التلفاز التي صيّرت منها دمية ملونة تلبس الملابس الفاضحة، وتجتذب الرجل بالصوت والصورة والحركة الماكرة يتضح أن المرآة الاجتماعية ساهمت وبصورة مبالغ فيها في تحجيم المرأة وإذلالها حتى اقتنعت بأن قيمتها الفعلية

محكومة برأي الرجل وموقفه منها.

من الأمثلة الشهيرة التي قوضت مكانة المرأة وأضعفت معنوياتها الأمثال التالية: «ظل رجل ولا ظل حيطة»، «همّ البنات للممات»، «البنت تخرج مرتين الأولى لبيت زوجها والثانية للقبر»، «أقرب طريق إلى قلب الرجل معدته»، «شاوروهن وخالفوهن»، وينسبون القول لعمر وحاشاه أن يقول بهذا الرأي. وعندنا في الإمارات باللهجة العامية: «حرمة ربّت ثور ولا يزر» ومعناه أن المرأة لا تستطيع أن تحسن تربية أولادها لأن الحيوان الذي هو أقل شأناً، والمخلوق للخدمة أنسته بجهلها ورعونتها الدور الذي خلق لأجله!!

هذا إلى جانب التحرج الشديد من قبل أغلب الرجال من ذكر أسماء أمهاتهم وزوجاتهم والتكنية بكلمة (الأهل) أو (الرضيعة) يعني الأخت، أو أم فلان دون ذكر اسمها ما مهد لتكون المرأة مجرد ظل لا استقلال له، أو شخصية منفصلة.

ومع تواتر الأمثلة، وتناقلها بين الأجيال أصبح من العسير جداً التخلص من ذلك الركام من الأرث غير المنصف الذي حملته المرأة دون وعي أو اختيار.

ولا يخفى أن الشاب الذي تشرب تلك الأمثلة، وحفظها عن ظهر قلب لن يكون من الصعب عليه أن يجرح شعور زوجته المجروحة سلفاً بتلك المفاهيم البالية[١].

---

(١) للوقوف على مزيد من التفاصيل حول نكبة المرأة على مطارق التقاليد البالية اقرأ: اضرب المرأة قبل الغذاء وبعد العشاء/ بقلم عادل سالم.

www.diwanalarab.com

ثالثاً: طبيعة العلاقة بين آباء وأمهات الزوجين في فترة ما قبل تكوين الأسرة الجديدة:

إن استقرار الأسرة الأم هو أحد مصادر تكوين الوعي بأهمية الاستقرار الأسري لدى الشاب والفتاة ويمثل النموذج الأبوي الصورة الطبيعية للحياة الزوجية لدى الأبناء بغض النظر عن صلاحيته أو انتفاء تلك الصلاحية عنه.

ومن هنا فإن البيوت التي ينزع منها الرفق هي بيوت مصدرة للعنف الأسري بكل درجاته، ومن الصعب إزاء تخطي الحدود الحمراء في العلاقة بين الأب والأم أن نتوقع صوراً مضيئة يقدمها أبناء تلك الأسر حين تؤول إليهم الأمور ويكوّنون أسراً مستقلة.

فالأخطاء المتراكمة التي رصدوها في بيوتهم تتحول إلى عقد نفسية وشعور بالكبت والحرمان نتيجة القلق المترتب على العنف الزوجي، وبالتالي تنتقل مع الفتى والفتاة هذه الإحباطات النفسية ويعاد إنتاجها في الأسر الجديدة نتيجة غياب الأنموذج الصحيح وفقدان القدوة السلوكية الأمثل(١).

---

(١) يعرف العنف بأنه: (سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية يصدر عن طرف قد يكون فرداً أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال واخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصادياً وسياسياً مما يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى).

وإذا ما أردنا تطبيق هذا المفهوم على الأسرة فإن العنف الأسري سيكون: (أحد أنماط السلوك العدواني الذي ينتج من وجود علاقات غير متكافئة في إطار نظام تقسيم العمل بين المرأة والرجل داخل الأسرة، وما يترتب على ذلك من تحديد لأدوار ومكانة كل فرد من أفراد الأسرة، وفقاً لما=

رابعاً: مدى الإشباع العاطفي الذي توفر للشريكين في مراحل سنوات الطفولة والمراهقة:

إن تنطيق المشاعر وتلطيف الأجواء الأسرية بعبارات ودية، وألفاظ ندية أمر لا يتأتى لجميع الناس، فالمحروم في صغره من سماع الكلمة اللطيفة الحانية لن يسهل عليه قولها في المستقبل حين يصبح رباً لأسرة قد يحمل لها الكثير من المشاعر الجياشة التي يثقل عليه البوح بها.

وتأسيساً على هذا المعنى فالمحاولات التي قد تبذلها الزوجة لتعويد زوجها على التلفظ عن مشاعره ربما كان خياراً غير مجد بعد أن اعتاد الأخير لسنوات طويلة أن يركن للصمت ويمتنع عن تنطيق مشاعره.

الأسر التي لا يتفقد فيها الآباء الأرصدة العاطفية لأفراد الأسرة هي أسر مهددة بالتصحر العاطفي، ومهما غالى الآباء

= يمليه النظام الاقتصادي، الاجتماعي السائد في المجتمع). أما العنف ضد المرأة فهو: ـ (السلوك أو الفعل الموجه إلى المرأة على وجه الخصوص سواء أكانت زوجة أو أماً أو أختاً أو ابنة، ويتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية الناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة بين الرجل والمرأة في المجتمع والأسرة على السواء، نتيجة لسيطرة النظام الأبوي بآلياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية).
وسائل الإعلام والعنف الأسري ـ آذار ١٤، ٢٠٠٣م.
علي راضي حسانين ـ لجنة العلاقات الخارجية ـ مجلس الشعب المصري.
مركز الدراسات ـ أمان ـ
http://www.amanjordan.org/aman_studies

وادعت الأمهات أنهم يربون أبناءهم تربية مثالية فإن الجفاف العاطفي يكفي ليفضح تلك الادعاءات التي ليس لها رصيد حقيقي في عالم الواقع.

خامساً: ثقافة الزوجين، ومدى إسعافها لرسم صور ذهنية عن الطرف الآخر تلتقي مع النظرة الشرعية في هذه المسألة:

تؤثر ثقافة الزوجين في شكل العلاقة بينهما حيث ينمو مؤشر الإحساس بالمسؤولية طردياً مع ارتفاع مستوى الثقافة التي يملكهما الأبوان، وهذه الحقيقة ليست محلاً للتساؤل والبحث من حيث كونها فكرة تضرب بجذورها في التاريخ، وتحشد لها من الأدلة والتجارب المتواترة ما يكفي لكتابة المجلدات الضخمة ولكنه الحق المر بالنسبة للجهلاء وإنصاف المتعلمين ممن يرون البيت فرصة للتنفيس عن عقدهم وشعورهم بالنقص في الوقت الذي تشعر الثقافة صاحبها بالامتلاء وترفعه فوق السفاسف وتعلمه كيف يزن الأمور بميزانها الصحيح فلا يكبّر الصغير، ولا يصغّر الكبير كما يتعود على ضبط انفعالاته والتعبير عن رأيه دون جرح زوجته أو الحجر على رأيها، وكل هذه الصفات وسائل ناجحة لرفع مستوى الشعور بالمسؤولية، والإحساس بأهمية أن يجمع بين الرفق والحزم في إدارة البيوت.

ما ينطبق على الرجل ينطبق على المرأة سواء بسواء فالمرأة غير المتعلمة، أو التي تنقصها الثقافة الجادة تتحول إلى بركان موقوت إن لم يتوفر لها حظ من الإيمان، أو نصيب من التربية المنضبطة في بيت أبويها.

وكم من سيدات جنين على أنفسهن، وأسرهن وافتعلن بحمقهن مشاكل وأزمات غير مبررة، وليس لها أي داع سوى الرغبة في مجاراة الآخرين، وتقليدهم في حين لم تجد لدى الزوج أذناً صاغية، أو قلباً مشاركاً لما تتمنى وتحلم.

وكما تطير أحلام اليقظة لدى الأشخاص الواهمين طارت بيوت وهدمت أسر على يد نساء لم يكن لهن حظ من الثقافة الناضجة مما عرضهن للوقوع تحت تأثير المرآة الاجتماعية، والرأي النسائي العام، أو الذي بدا لهن أنه رأي عام ففقدن مع ذلك الرضوخ شعورهن بالتميز، وقدرتهن على اتخاذ مواقف إيجابية مما يحدث في الحياة الصاخبة حولهن(١).

شواهد انجراف المرأة نحو التقليد الأعمى نراها بادية على الأسر التي تمسي وتصبح وهي تقيم حروباً كلامية بشأن النفقات المالية التي تريدها المرأة ويأباها الزوج.

إن الثقافة الجادة هي القنطرة الآمنة للعيش الهانئ الذي لا تعكره التفاهات، ولا تجني عليه الشائعات ولا يتأثر بأفكار الآخرين وأمزجتهم ومذاهبهم في الحياة.

---

(١) للكاتب الأميركي القدير، ستيفن. ر. كوفي وجهة نظر إضافية حول الدور السلبي للمرآة الاجتماعية في طمس معالم الشخصية، وتغييب الذات لصالح الاتباع الأعمى والهزيمة النفسية التي تتجذر طردياً مع الزمن كلما نمى في المرء حب الركون لصوت المجتمع بغض النظر عن أصالة الصوت ومنهجيته وجدارة المعايير التي يعتمدها في تنظيم الحياة الاجتماعية أو انتفاء الجدارة عنها،وقد تضمن كتابه: إدارة الأوليات فلسفته في هذا الجانب. الناشر: مكتبة جرير، إعادة طبع الطبعة الاولى ١٩٩٩م.

سادساً: الوازع الديني ودوره في الارتقاء بالسلوك وتهذيب المشاعر:

حثّت الشريعة الإسلامية على الاقتران بذات الدين ورأت في الاقتران بها ضمان للحياة الكريمة، المرأة التقية عنوان الحياة الزكية، والفتاة التي ملأ حب الله قلبها لن تكون قشة أمام الريح، بل هي جبل من العزة والكرامة والسلوك المهذب.

وكذلك هو الرجل المتدين فدينه يعصمه من أن يظلم زوجته، أو يهينها، أو يسلبها كرامتها وشعورها بقيمة الذات.

إن الرجل المتدين الواعي يدرك تماماً أنه مسؤول مسؤولية تامة عن رعاية حق الزوجة، والحفاظ على كرامتها، وبالتالي يصبح الدين واحداً من أهم مصادر تكوين الشخصية المتوازنة التي يفيض سلوكها الجاد خيراً ونماءً على محيطها الأسري امتثالاً لقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «**خياركم خياركم لنسائهم**»[1].

---

(١) حدثنا أبو كريب ثنا أبو خالد عن الأعمش عن شقيق عن مسروق عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**خياركم خياركم لنسائهم**».

صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٦٩٤ (١٩٧٨).

وفي سنن ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن خلف ومحمد بن يحيى قالا: ثنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى بن ثوبان عن عمه عمارة بن ثوبان عن عطاء عن بن عباس عن النبي ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» ج: ١ ص: ٦٣٦ (١٩٧٧).

سابعاً: درجة الثقة التي يوليها كل طرف لشريكه في المؤسسة الزوجية:

ما دخلت الثقة بيتاً إلا وأنعشت مشاعر الجميع، وأثمرت سلوكاً راقياً يثير الإعجاب ويؤكد للآخرين بأنها تنبت الحب، وتورق الدفء، وتزهر الاحترام، وتنتج الشعور بالأمان.

ولا أمان لبيت ليس فيه ثقة ولا تعمره مشاعر الإخلاص.

وكما تتناثر حبات العقد بعد فك الخيط الذي يجمعه تتبدد الكلمات البراقة وتطير شعاعاً مع مزاحمة مشاعر انعدام الثقة التي تأتي على المبادرات الفجائية لترطيب المشاعر المتوترة إذ لا تستقيم علاقة والثقة مفقودة أو ضعيفة.

منطق الربح المشترك هو خيار الأسر السعيدة:

إن البيوت التي تغمرها السعادة هي بيوت آمنت بأن الربح في المشروع الأسري قائم على الشراكة العادلة في المغنم والمغرم، في الفرح والحزن، في السعة والضيق، في إقبال الحياة وإدبارها.

إنها بيوت عرفت أن أجمل ما في الحياة أن يمتلك الفرد عاطفة عارمة لشريكه وأطفاله وأهله ومجتمعه، وبإن تفعيل تلك العاطفة هو السلوك الطبيعي الذي يحقق التواؤم النفسي للفرد مع بيئته الداخلية.

والفرق ما بين السعداء والتعساء هو ذات الفرق الذي بين القادرين على العطاء والممتنعين عنه.

وأول أنواع القدرة على العطاء هو بذل الحب لمن يستحق، وسلامة الصدر، وخفض الجانب وسعة الصدر، إنها لغة السعادة التي يفهمها النابهون من البشر دون سواهم من الناس[1].

❀ ❀ ❀

---

(١) لمزيد من البحث حول هذا الموضوع اقرأ لستيفن. ر. كوفي كتاب: العادات السبع للأسر الأكثر فعالية، ٢٠٠٣ م، مكتبة جرير.

بناء روح الفريق الأسري

كما تجتمع قطرات الندى على صفحة الورقة الخضراء لتنعشها وتحرك روح الحياة فيها بإذن الله، يتجمع أفراد البيت الواحد الذين يسودهم روح التعاون، وتؤلف بينهم مشاعر الوفاق والترابط ليشكلوا قوة حقيقية قادرة على أداء أدوارها بكفاءة وفاعلية، وعلى تجاوز مشاكلها بروح مقاومة، تلك الروح الناتجة عن العمل المشترك المعبر عن روح الفريق الواحد.

ولسائل أن يقول:

ما هي فوائد العمل بروح الفريق الواحد داخل مؤسسة الأسرة؟

للإجابة على هذا السؤال لا بد من فهم واستيعاب طبيعة أدوار الأبوين داخل الأسرة والتي من أهمها تفعيل أدوار أفراد الأسرة جميعاً، وتدريب الأبناء على تحمل مسؤولياتهم المختلفة، إضافة إلى إكسابهم الخبرات المطلوبة التي تنهض بذواتهم وتساعدهم على النجاح في اختياراتهم الحياتية.

ومن جهة ثانية علينا أن نتساءل عن الصورة المثالية التي يتخيلها أفراد الأسرة للعائلة الناجحة.

هل هي صورة الأسرة التي لديها أبناء مهمشين ليس عليهم إلا السمع والطاعة، أم صورة الأبناء الراشدين الذين تحترم آراؤهم وتقدر وجهات نظرهم؟

وماذا عن صورة الزوجة المثالية في نظر الزوجة نفسها؟ وما هي صورة الأم الفاعلة في مخيلتها؟

هل هي صورة الزوجة المغلوبة على أمرها، المسلوبة الإرادة!! التي تتلقى الأوامر سامعة مطيعة؟ وهل الأم المثالية في عيون الأبناء تلك الخائفة المضطربة التي لا تقوى على رفع بصرها في وجه زوجها ولا تقوى على التعبير عن رأيها فيما يراه الزوج؟!!

الإجابة في صالح الفكرة المطروحة للبحث حتماً، وهي ضرورة توزيع الأدوار داخل الأسرة الواحدة، واحترام خصوصية كل دور دون تجاهل أو نكران.

إن لغة الاحترام والتقدير يجب أن تعتمد كلغة وحيدة في التعامل بين أفراد الأسرة، ومهما كان دور الفرد فيها محدوداً نظراً لصغر سنه أو تواضع إمكاناته فإنه يجب أن يكون محترماً ومقدراً.

لو أردنا أن نأتي بمثال يصور قيمة التكامل بين العناصر التي ينتظمها توافق في الملامح والصفات فإن الآلة تغدو خياراً مناسباً، ومثالاً متاحاً يمكن القياس عليه للتعرف عن قرب على دور التنسيق بين المهام في الوصول لمحصلة نهائية تحقق الغرض من المشاركة والاندماج في أداء الأدوار المتعددة.

تعطل جزء من الآلة يؤدي لتعطل باقي الأجزاء الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى كفاءة كل جزء من أجزائها حتى تستطيع القيام بدورها على الوجه الصحيح.

الأمر ذاته ينطبق على الصورة المنشودة للعائلة السعيدة فالأدوار موزعة على أفراد الأسرة وليست مكرسة في يد شخص واحد كذلك هي المسؤولية مشتركة، وإن كانت متفاوتة إلا أن الاشتراك بينها قائم والتلاحم بينها مطلوب وإلا فإن الخلل بين أجزائها سيؤدي إلى شل فاعلية الأعضاء جميعاً.

دقة الفريق الكروي

لكي يحقق فريق الكرة الرياضي الفوز المنشود عليه أن يرسم خطة يوزع فيها أدوار الأحد عشر لاعباً الذين يشكلون الفريق، فهذا في خط الدفاع، وذاك في خط الهجوم، وآخر في الوسط، وهناك شخص هام جداً هو الحارس.

إن أدوار اللعب مرسومة بشكل دقيق، وفق طاقات كل لاعب واستعداداته، ومن اختلاف طاقات واستعدادات اللاعبين تنشأ تلك القوة الهائلة التي تحقق النصر للفريق وتثير إعجاب المشاهدين وتستحوذ على اهتمامهم.

الأمر نفسه يتكرر في الأسرة ولكن بصورة مختلفة نتيجة اختلاف طبيعة المهام التي يقوم بها أفرادها.

فالأب يتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية، وتشاركه الزوجة التي هي الطرف الثاني في المعادلة الأسرية ... والزوج الذي يعتقد أن من واجب الزوجة أن لا تقول رأياً مخالفاً لرأيه، أو تقترح فكرة لا يتحمس لها إنما يعطل بذلك نصفه الآخر، ويحرم أبناءه من جميل رأي أمهم التي ربما كان عندها من البصيرة والدراية ما هو أحوج ما يكون إليه.

ولعلي لا أحتاج إلى التأكيد بأن النجاح الحقيقي للعائلة لا يصيغه شخص واحد بالغ ما بلغ علمه ورأيه وحكمته.

فالناظر إلى طبيعة النجاح في أي مؤسسة أو دائرة أو مكان يتواجد فيه الناس للعمل يظهر له بكل وضوح أن النجاح الحقيقي يتأتى من الجهد المشترك والعمل المنظم والتعاون المستمر بين أفراد المجموعة التي يجسد أداؤها مبادئ العمل بروح الفريق.

مواصفات القائد الناجح

إن القائد الناجح هو الذي يعرف كيف يرسم أدوار مرؤوسيه ويحفزهم لبذل أقصى ما لديهم من طاقة وفق تبني منهج الشورى وطريقة إدارة الحوار بالرأي الحر والصراحة والجرأة.

ومن مواصفات القائد الناجح كذلك اكتشاف طاقات الأفراد الذين حوله، وفي مثالنا الحاضر فإن الأفراد هم الزوجة والأولاد، وعلى الأب معرفة طبيعة الاستعداد الخاص لدى كل واحد منهم، ثم فتح المجال لذلك الاستعداد للنمو والتطور من خلال التشجيع المستمر والتوجيه المتواصل.

أشعة الليزر

تأكيداً على أهمية اجتماع الطاقات، وتفعيل الإمكانات المتاحة لأفراد العائلة علينا أن نتذكر أشعة الليزر ولنستحضر في مخيلتنا القوة الهائلة الكامنة بها.

لو تركت الأشعة على طبيعتها دون جمع وتكثيف لما قدر

لتلك الطاقة الهائلة أن تحقق المستوى العالي من التأثير والفاعلية.

هذا هو شأن أفراد البيت الواحد حين تجمع بينهم أهداف مشتركة ينتج عنها مكاسب تفوق التوقعات.

وبخلاف الحساب الرياضي الذي يظهر نتيجة جمع العدد ١ مضافاً إلى مثله بالرمز الحسابي ٢ تؤكد النتائج المترتبة على العمل بروح الفريق بأن نتيجة اجتماع أكثر من عضو من أعضاء الأسرة على هدف مشترك يؤدي إلى نتائج رائعة.

حيث أن: ١ + ١ = ١١ كما أن: ١ + ١ + ١ = ١١١. وهكذا تتضاعف النتائج النوعية كلما زاد عدد أفراد الأسرة الذين يمارسون قدراً لافتاً من التعاون والتواصل فيما بينهم يرفدهم في ذلك إيمان راسخ بأن النجاح الحقيقي هو الذي يبدأ من الأسرة وليس من أي مكان آخر!!

التخطيط الأسري الفعال

يتفق الجميع على أن تحديد أولويات الأبوين هو خط فاصل ما بين الأداء العادي والأداء المتميز، وليس هناك اختلاف في وجهات النظر حول أهمية هذه الفكرة من حيث المبدأ لدى غالبية أفراد مجتمعاتنا، إلا أن عالم التطبيق وميدان السلوك يشهد تبايناً ملحوظاً في كيفية تطبيق هذه الأولويات ومراعاتها عملياً.

على سبيل المثال نجد لدى بعض الأسر تخبطاً مريعاً في التجارب التربوية التي يمرون بها مع أبنائهم، فبينما تؤكد ألفاظهم أن تربية أبنائهم تربية صحيحة هي هدف حيوي لا يمكن التفريط به نلحظ تخبطاً في أدائهم يعكس خللاً حقيقياً في فهم قواعد التربية الفعالة، ويقلل بالتالي من قيمة جهودهم التي ظاهرها المعاناة والبذل، بينما أنها لا تسير في المسار الصحيح ولا تتجه الوجهة المطلوبة.

فأين الخلل إذن؟

يكمن الخلل في ضبابية الرؤية نحو السلوكيات الفعالة القادرة على تكوين الشخصية المتوازنة، الواثقة بنفسها وبإمكاناتها والمتواصلة مع ذويها بشكل إيجابي.

هذه الضبابية في تصور منهج العمل وآليات التأثير هي

كعب أخيل العملية التربوية، والثغرة التي ينفذ منها السلوك غير الفاعل والذي قد يضر بأداء الأبوين ويفاجئهما بنتائج لم يحسبا لها أي حساب!!

وعليه فإننا قبل أن نلج موضوع التخطيط الأسري علينا أن نتوقف أمام المخزون المعرفي من المفاهيم التربوية التي يملكها الأبوان.

(كيف يرفع الأبوان مخزونهما التربوي وكيف يضيفان إلى رصيدهما نقاط معرفية تعزز من جهودهما في تربية الأبناء؟).

إجابة هذا السؤال هي المدخل الطبيعي الأمثل لكل موضوع تكون مادته التربية الأسرية إذ هي مفتاح الحل ومنطلق البناء الأمثل.

وعلى هذا الأساس فإن توجه الآباء والأمهات إلى عالم البحث والمطالعة في الموضوعات ذات الصلة بأدوارهما الأسرية يعتبر خياراً فعالاً لتقريب زمن تحقيق الأهداف.

ما هو التخطيط؟

التخطيط في أبسط صورة له هو التنسيق بين الأهداف التي يريد الفرد أن يحققها لنفسه أو لأسرته أو للجماعة التي ينتمي إليها.

فالتخطيط هو أسلوب في التفكير والتصوير الذهني القائم على خصائص متميزة أهمها التداخل بين فروع المعرفة المختلفة، وهو أسلوب علمي ومنهجي وفني يتشكل عبر عمليات متعددة ومستمرة ويقوم على أساس مناهج وبرامج ومشروعات عمل

تفصيلية إلى إحداث تغيرات مقصودة في الجماعة وأفرادها خلال فترات زمنية محددة الأداء[1].

أهداف التخطيط العائلي:

١ ـ تحقيق التوازن في سلوكيات العائلة وطريقة أدائهم لأدوارهم المتعددة:

إن أكثر الأسر التي تعاني من مشاكل وأزمات في علاقة أفرداها ببعضهم البعض إنما تنتج أزماتها تلك من التعود على الخروج عن خط الاعتدال في العلاقات الداخلية التي تربط بين أفراد الأسرة إما عن طريق قسوة زائدة «حرمان من حقوق الاحترام والرعاية النفسية»، أو عن طريق التدليل والتسامح المطلق عن الأخطاء «إعفاء الابن من كثير من الالتزامات التي يطالب بها من هم في مثل عمره وتشترطها التربية الشاملة».

ما ينتج عنه تضخم الأنا السفلى عبر سلسلة الممارسات السلبية التي تصدر من الأبوين اللذين يجهلان بأن الدلال الزائد ليس هو الخيار الصحيح لتربية الرجال والنساء المنتظرين في الغد.

٢ ـ تحديد أهداف مشتركة والعمل بشكل جماعي لتحقيقها.

من أبسط الأمثلة التي تحقق هذا الهدف الاتفاق على

---

(١) للاستزادة اقرأ: التخطيط أول خطوات النجاح، جيمس شيرمان ١٤١٣ هـ، ترجمة: د.محمد طه علي. دار المعرفة للتنمية البشرية.

الخطوط العامة التي تضبط إيقاع السلوك الأسري وتهيء المنزل ليكون مكاناً مريحاً يضم تحت جناحيه كافة أفراد الأسرة.

المحافظة على المنزل مرتباً وأنيقاً على سبيل المثال هدف يجب أن يكون مشتركاً وليس هدفاً شخصياً للأم وحدها.

والهدف من تعميم مسؤولية هذا المطلب توثيق العلاقة بالأم التي هي معنية بالدرجة الأولى بتهيئة المنزل لراحة أفراد العائلة، إلا أن تركها تتحمل هذه المسؤولية سيؤدي بالضرورة إلى نشوء اللامبالاة بالتصرفات الفردية إذا ما تحول المنزل إلى فندق خمس نجوم زبائنه يتمتعون بأوقاتهم ولا يلزمهم إعادة النظام إلى المكان الذي نزلوا به!!

هذا المنطق غير المسيج بأحزمة تربوية آمنة لا يصلح للأسر التي تريد أن تعلم أبناءها احترام النظام. فالحياة وفق أهداف مشتركة تحمي الأبناء من العيش الهامشي والحياة الباردة المسطحة التي تجعل منهم أعضاء خاملون ذوو مردودية ضعيفة، يستسهلون السهل ويهربون من كل عمل يشعرون بأنه قد يتطلب جهداً خاصاً.

إذ من الصعب أن يتعود الأبناء على خدمة أنفسهم وهم مرفهون إلى هذه الحدود، بل إن أبسط المواقف، وأهون التجارب الخارجية تجعلهم عصبيون ومفرطون في التشاؤم والإحساس بالعجز عن اجتيازها، وما ذلك الإحساس الخاطئ إلا نتيجة طبيعية للميوعة والليونة التي ألفوها في بيوتهم، وتسببت في إعاقتهم النفسية وشعورهم بالضآلة أمام مواقف الحياة التي تحتاج إلى نفوس صلبة تعودت على قبول التحدي وتدربت على مواجهة المسؤوليات المختلفة.

٣ ـ توفير الوقت، وإدارته بشكل فعال:

ليس كالتخطيط وسيلة ناجعة للحصول على مزيد من الوقت الفعال لإنجاز المهمات الكثيرة والكبيرة أيضاً.

وكلما كانت هناك حساسية إيجابية إزاء عامل الزمن كلما توفرت المصداقية في تجويد الأعمال، والارتقاء بالذات من خلال التعامل الواعي والدقيق مع الوقت.

من المثير للغرابة أن نرى بعض الأسر تضرب عرض الحائط بعامل الزمن، وتتغافل عن قيمة استثماره في إشباع حاجات الأبناء المختلفة، والتي يمثل المجازفة بها امتهاناً لدور الأبوين حيث يصعب تعويض ما فات، واستدراك الوقت الذي أهدر دون مسوغ.

فيما لو كان الأبوان لا علم لهما بكيفية إشباع حاجات الأبناء فمن أي مصدر معرفي سينهل الناشئة ثم كيف تنجح تربية تحيل الأبناء إلى الخارج ليتسوّلوا إجابات مفقودة في الدار؟!!

أفمن الحكمة أن يحيل الأبوان بلسان حالهما أفلاذ أكبادهما إلى البيئة الخارجية بكل ما تحمله تلك الكلمة من إيحاءات سلبية في حين أن الآباء هم الأولى بإشباع حاجات أبنائهم وليس الغرباء؟!!

٤ ـ إثراء البيئة الأسرية بالحوار وتعويد الأبناء المبكر على التعبير والمشاركة بالرأي.

حين نطالب بالتخطيط الأسري نفترض سلفاً دخول الأبناء

في معمعة التخطيط، ومنذ المرحلة التمهيدية لأي خطة عائلية.

غير أن افتراضنا هذا يرتطم بصخرة الواقع الذي يعكس حالة من التحجر العقلي، والتيبس الفكري لدى بعض أولياء الأمور ممن يستبعدون أبناءهم من المشاركة في أي خطة عائلية[1].

هؤلاء الآباء المتيبسون لا يتصورون إمكانية استشارة الأبناء أو الخوض معهم في أحاديث تهم العائلة، في حين أن المبادرة بإشراك الأبناء في القضايا الخاصة بالأسرة يعد اختياراً ذكياً وسلوكاً إيجابياً يساهم في نضج الأبناء ويكسبهم المناعة النفسية التي تتكون عبر سلسلة متوالية من السلوكيات الذكية التي يمارسها المربون.

٥ ـ تركيز الجهود على الأولويات بدلاً من هدر الطاقة في الأمور ذات الأولوية المنخفضة:

إن التعود على إشراك الأبناء في الخطط العائلية سواء الاقتصادية أو التعليمية أو الترفيهية أو الاجتماعية يؤدي إلى تقليص هامش الخطأ أثناء التنفيذ، كما يتيح للأبناء فرصة خوض التجارب التي شاركوا بالتخطيط لها شفوياً ومن خلال اللغة الحوارية.

وإلى جانب ارتفاع الحماس نتيجة تطابق وجهات النظر

---

(١) كيف تصنعين مستقبلاً لطفلك، ١٩٩٥م وديع شكور، عالم الكتب: بيروت.

حول الأساليب المدرجة في قائمة التخطيط يتولد إحساس لدى الأبناء بتقدير ذواتهم نتيجة حرص الأبوين على استشارتهم، ومعرفة آرائهم في الأنشطة التي تقوم بها الأسرة.

على قارعة الطريق

النمط الاستهلاكي والقابلية للعيش عالة على الأمم:

سؤال يطل برأسه كلما بحثنا موضوع حمى الاستهلاك وما جلبته لنا من أوجاع أعيانا علاجها لأننا سلفاً لم نعي أننا توغلنا أكثر مما يجب في تكريس النمط المادي لمعيشتنا ما أفقدنا القدرة على تحقيق التوازن بين حاجاتنا المختلفة والتي تتأثر سلباً بالتفريط في بعضها مقابل الإفراط في إشباع الحاجات الفيزيولوجية إلى مستوى غير مسبوق.

الفشل في تحقيق التوازن بين الحاجات المختلفة بأبعادها الوجدانية والعاطفية والعقلية والإيمانية أصاب الكثيرين بالهزال الروحي ناهيك عن الأمراض النفسية الأخرى التي نشأت وتكونت نتيجة عدم الإشباع ما أفرز كماً من الممارسات الخاطئة التي أضرت بالنسيج الاجتماعي وأوهنت علاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

بين الثراء الروحي والثراء المادي:

البحث عن الغنى والثراء هو أحد الحاجات الكبرى التي ما ينفك يبحث عنها الإنسان في كل عصر ومصر ولكن الثراء ليس مالاً فحسب بل توجد أنواع من الثروة مختلفة المصادر ومغايرة

في طبيعتها عن المعنى الشائع في الأذهان وتستحق أن يسعى الإنسان لامتلاكها.

ثروة الروح تعد لدى العقلاء مطلباً ومكسباً والمزايدة عليها والتضحية بها هو أمر غير وارد في أجندة الفكر الحر الذي يزخر بكل ما هو ثمين ونفيس من المواد والإمكانات.

ثروة المعرفة ووفرتها هي الأخرى أحد المطالب الكبرى التي يتشوف إليها عقلاء الناس المتعطشون دائماً للعلم الذين لا يسأمون اكتشاف الدروب الموصلة إليه في شتى مراحل العمر سعياً وراء الحكمة ورغبة في النجاة من مصيدة الجهل وفخ السذاجة.

ثروة الضمير حيث تتضاءل أنواع المتع أمام بهجة الشعور بأن المرء قد أدى ما عليه وأن مبادئه كانت وما تزال هي المشرع الأساسي لحركته في الأرض.

قيمه تصنعها المبادئ، وأحكامه يستقيها من معين الإيمان بأن لا شيء في الحياة يجلب السكينة والشعور بالثراء والغنى من الالتزام بما يمليه الضمير، والتصالح مع النفس بكل شفافية وطهر.

لكن الماديين لا يشبعون:

اللافت في أمر من أطلقوا لأنفسهم العنان وأفلتوها من أي زمام للتكالب على الشراء وتملك ما يلزم وما لا يلزم من الأشياء أن شعورهم بالوفرة شعور شبه منعدم وحالهم كحال شارب ماء البحر كلما استزاد منه زاد إحساسه بالعطش.

الشعور بالندرة هو الشيء الذي يتملك الماديين في أغلب الأحيان، وهم مهما توفرت لديهم أنواع المتع فإن عيونهم تظل تفتش عن أنواع أخرى ربما غاب عنهم العلم بها ما يجعل منهم نماذج لمن تواضعت أهدافهم، وجمدوا عند حافة الحياة حيث المأكل والملبس والمسكن والمركب ولا شيء فوق ذلك، رغم أن التوقف أمام هذه الاهتمامات لا تليق بالإنسان الناضج الذي يدرك أنه خلق لأهداف عليا ولغايات سامية تتجاوز بكثير حاجاته الفيزيولوجية.

دور الإعلانات في تهميش العقول:

يعد الإعلان التلفزيوني أحد أكبر مصادر التأثير على العقول التي لديها قابلية الانسياق خلف الإعلانات التجارية إلى حد تقمص نمط الشخصية التي تقدم الإعلان، والاعتقاد بأن النمط المعروض هو الصورة المعبرة عن النجاح الأنثوي أو الذكوري حسب نوع الشخصية المروجة لهذا الإعلان أو ذاك!!

لغة الإعلان الشفوية والبصرية:

اللغة الإعلانية تعد بدورها أحد أكبر التحديات التي تواجه عقل المسلم اليوم لكونها قدمت فلسفة مغايرة لقيم المجتمع في قوالب مبهرة مستثمرة حالة غياب الوعي التي تعاني منها شرائح مجتمعية عدة وقد كان للغتها الجذابة وأسلوبها الناعم أثر السحر في نفوس المشاهدين من الجنسين الذين أخذوا بالقوالب الإعلانية البراقة وسحرتهم الكلمات المعسولة والتي تصور الحياة وكأنها صندوق الأحلام والسلع المعروضة على أنها مفاتيح السعادة، فإذا

ما امتلك المرء تلك المفاتيح فتحت دونه الأبواب المغلقة وتحولت أحلامه لواقع يتقلب فيه.

أمثلة ونماذج:

فتاة الأحلام يأتي بها معجون الأسنان، وفتى الأحلام يطير على جناح السرعة حين تضع الفتاة شيئاً من العطر في ملابسها.

الشعر الخشن يغدو ناعم الملمس بمجرد استخدام الشامبو المعلن عنه، والبشرة المترهلة تستعيد شبابها عندما يوضع عليها المسحوق المعروض على الشاشة.

ربة المنزل المثقلة بالمسؤوليات اليومية يحل مسحوق الغسيل كل مشاكلها «لاحظ الاختزال هنا لدور المرأة الذي هو أكبر بكثير من غسل الملابس وكيها» إلى آخر قائمة اللف والدوران على وتر الحاجات الفيزيولوجية المصنفة لدى الإسلام وعلماء النفس في العالم على أنها تقع في أول درجات سلم البناء والتكوين والذي يحتوي إلى جانب الحاجات الفيزيولوجية إلى حاجات الانتماء والأمن والمشاركة الاجتماعية، ثم الحاجة لتحقيق الذات والتي بداخلها مجموعة عناصر ومكونات تهتم بإشباع الروح والعاطفة وكذلك العقل كمصادر لبناء الذات الفاعلة(١).

---

(١) يقول ماسلو: إن ظهور حاجات إثبات الذات يأتي فقط بعد أن تكون بقية الحاجات الأخرى قد أشبعت بصفة أساسية، وهذا يعني أن الفرد يرغب في أن يصبح أكثر تميزاً عن غيره من الأفراد اذا تحقق له قدر من الاشباع في حاجاته الفيزيولوجية فاذا لم يتم اشباعها بشكل صحيح انصرف الفرد عن الالتفات لحاجات تحقيق الذات.

الخيارات تزداد تنوعاً أمام الدجل الإعلاني في عالم الطعام حيث أرتال من أنواع الألبان والأجبان وأصناف الحلويات والنشويات التي تزدحم فوق المائدة الإعلانية لتضغط على أعصاب المشاهد وجيبه فيتورط في تجربة هذا الصنف وذاك طمعاً في الحصول على أفضل الخيارات حول الأصناف المعلن عنها.

المخرج من هذه الدائرة:

أن تنأى الأسرة بنفسها عن الفخاخ الإعلانية المنصوبة، وأن يرتفع سقف اهتماماتها عن السقف المنخفض الذي تبشّر به تلك الإعلانات وتقدمه على أنه الخيار الأكثر جلباً للرضى والسعادة.

وقد يكون من الجدير بالنظر الالتفات إلى خطورة غياب البعد الروحي عن المناخ الإعلاني المزكوم بأنواع التهريج واللعب على العقول ولا أدل على ذلك من امتهان المرأة وتشييئها وتحويلها لسلعة تبشر بسلعة مماثلة إلى الحد الذي يخيل فيه للمتفرج أن ثمة مزاداً مفتوحاً للنساء يجرى خلف الكاميرات وللراغبين في الحصول على تلك السلع الآدمية الخيار المفتوح في رؤية نماذج مشابهة من تلك الموديلات في برامج «تلفزيون الواقع» والتي غدت الواجهة الجديدة التي تنفذ عبرها مشاريع التغريب وتفريغ عقل المسلم من أية مضامين جادة تبقيه في دائرة الفعل والتأثير.

إزاء هذه الحمى الإعلانية التي مهدت لما يسمى بتلفزيون الواقع ينبغي التعبير بصوت مسموع عن موقف الاحتجاج من سياسة إثارة الغرائز تحت شعارات ويافطات ظاهرها أنيق وجذاب وباطنها خبيث وماكر.

اللغة المستخدمة في الإعلانات التجارية هي ذاتها المستخدمة في البرامج الجماهيرية التي تروج لاختلاط الرجال بالنساء بدون أية ضوابط أخلاقية أو أهداف تستحق النظر.

الأسرة المسلمة اليوم وهي تجد نفسها تحت تأثير غزو ثقافي اتَّخذ وسائل وأشكال لا حصر لها ينبغي لها أن تتخذ موقفاً حازماً يتناسب وعنف الهجمة المادية التي لا تريد بأمتنا خيراً ولا تدخر وسعاً في إضعاف صلة الأجيال الحالية بموروثها القيمي والأخلاقي، وعليه فالاهتمام بالبعد الأخلاقي وربط الناشئة بالقيم الإسلامية هو الخيار الأمثل من أجل تربية جيل يثق بذاته وإمكاناته ويرفع سقف اهتماماته لآفاق تصل به إلى حيث يريد من النجاح والفاعلية.

دعوة إلى البر

أربعة عشر عاماً قضاها مسافراً إلى بلد عربي آخر من أجل العمل الذي وجده مناسباً وقادراً على توفير الحياة الكريمة لعائلته المكوّنة من خمسة أبناء وزوجة.

ترك دفء وطنه، ودفء العائلة وذهب تحدوه الآمال في أن يتخلص من الفقر وإلى الأبد.

وفي ذلك البلد العربي الشقيق كان الأجر الشهري الذي يستلمه من صاحب العمل يكفي لإغرائه بالبقاء إلى أطول فترة ممكنة، دون أن يفكر بأن يأخذ إجازة طيلة تلك الأعوام للذهاب إلى الوطن، ورؤية أبنائه الذين يكبرون يوماً بعد يوم دون أن ينعموا برؤية الأب والجلوس إلى جواره.

كان كل همه أن لا يحتاج أبناءه إلى شيء، وأن يعيشوا في مستوى يضمن لهم التعليم المناسب، ويوفر لهم حاجاتهم الضرورية، مما غيب عن وعيه وشعوره بأن هناك شيئاً آخر بدأ الأبناء يفقدونه بالتدريج، وهو وجود الأب إلى جوارهم، ومشاركته لهم حياتهم، وممارسته لدوره الأبوي في الإرشاد والتوجيه وتقديم الدعم المعنوي الذي كانوا يفتقرون إلى وجوده طيلة مراحل نموهم المختلفة.

وبعد سنين الاغتراب عاد الأب إلى أسرته التي تعودت على غيابه، وتكيفت على عدم وجوده كفرد من أفراد الأسرة فكان حضوره شيئاً لا يعني الكثير بالنسبة لأولئك الذين تخرجوا من جامعاتهم، وتزوجوا وكل ما كان بينهم وبين هذا الأب المهاجر راتب شهري يتسلمونه من أحد المصارف، ورسائل مكتوبة أو مسموعة عبر أشرطة الكاسيت التي كانت قادرة على نقل الصوت وعاجزة عن نقل المشاعر أو مد الجسور بين الأبناء وأبيهم، لذلك كان استقبال الأبناء للأب استقبالاً فاتراً بارداً لا نبض فيه ولا إحساس، كان شيئاً شبيهاً بممارسة الطقوس الاجتماعية التي يتعامل بها الأغراب حين يلتقون في مكان عام يجتمعون فيه للحظات يتبادلون أثناءها التحية العابرة، ثم يعود كل شيء بعدها إلى وضعه السابق، لا ارتباط حقيقي، ولا مشاعر متبادلة.

وبعد فترة زمنية قصيرة من عودة الأب إلى أهله ووطنه توفيت الزوجة ووجد الرجل من جديد نفسه محاطاً بأسوار الغربة، لكنها غربة من نوع أشد وأقسى، غربة لم تكن تخطر له على بال، ولم يكن مهيئاً ولو نفسياً لاستقبالها أو التفكير بها.

لقد تخلى عنه الأبناء، وانشغلوا بحياتهم الجديدة ومثلما كان طيلة السنوات الأربع عشرة غائباً عن أنظارهم، فقد اختاروا هم هذه المرة أن يغيبوا عن ناظريه، ووجد نفسه معزولاً في أركان منزل لم يألفه قبل ذلك الزمن، ولا يربطه به رابط من الذكريات أو المواقف الأسرية التي عادة ما تصاحب الأسر التي تنعم بأبوين يحيطان الأبناء بالحب والرعاية.

وكما جفاه أبناؤه جفته الحياة ووجد نفسه فقيراً عاجزاً عن

تحمل نفقات العيش المر ليختار لنفسه مصيراً لم يجد منه بدأً بعد أن تنكرت له الأيام، فمضى إلى دار العجزة يبحث عن مأوى يتوارى به من قسوة الأيام، وقطيعة الخلان!![1].

وبعين دامعة، ونفس مكلومة سرد هذا الرجل حكايته عبر فضائية (إقرأ) في برنامج: قبل أن تحاسبوا، وسالت دموع مع دمعه الجاري وهو يتحدث بزفرات حارة عن إصابته بالعمى وافتقاده لبر أبنائه، وتبدل الأيام، وقسوة الزمن!!

والسؤال الحائر: لماذا آل أمر هذا الرجل الذي اختار العمل الشاق والغربة من أجل أبنائه إلى هذه الحالة المؤلمة؟

ترى هل كان الأب هو البادئ بالخطأ والتقصير حين ركز على دور واحد من الأدوار التي كانت تنتظره كأب وزوج وراع لأهل بيته؟

وهل أخفق في فهم معادلة النجاح الأسري مما أدى إلى أن يكون توفير المال هو الهدف الأبرز بين أهدافه المرتبطة بالعائلة في حين تراجعت الأهداف الأخرى إلى مستويات منخفضة أوصلت عائلته لاحقاً إلى التفكك والإنهيار.

أم أن على الأبناء وحدهم تقع المسؤولية الكبرى والتقصير الشديد حين قابلوا تضحية الأب بمثل هذا الجحود والنكران؟

من شأن هذه الحكاية التي لها أخوات أن تجرنا إلى موضوع بر الآباء والشروط المعيارية التي يمكن من خلالها أن يقطف الأبناء ثمار حصادهم وفق آمالهم وأمانيهم.

---

(١) عرض البرنامج عام ٢٠٠٣م

خطوات السير في التربية الإيجابية المنتجة:

أولاً: تربية العواطف الإيجابية وتفعيل المشاعر على نحو ملموس:

يرتفع مؤشر ترمومتر العواطف لدى الأسر التي يتعود أفرادها على ممارسة التعبير اللفظي على المشاعر التي يحملها كل فرد تجاه بقية أفراد العائلة.

حين يكون القاموس اللغوي الخاص بالأبوين محتوياً على ألفاظ ثرة وموحية وذات دلالات عاطفية ملحوظة يصبح من السهل على الأبناء لاحقاً محاكاة هذه اللغة التعبيرية المتداولة أسرياً ما يمهد لعلاقات مستقبلية شديدة الخصوبة ونابعة من ضمائر ألفت اللغة الحانية والكلمة الراقية بالكيفية التي تضمن انسيابية العلاقات الأسرية وتجذر قيمتها في نفوس الصغار والكبار.

ثانياً: الإحسان في التربية، وتقديم صورة عملية للسلوك الأبوي الملتزم:

لن يقدر الأبناء على التعبير عن الوفاء الصادق، ما لم يكن هناك مولد ذاتي يملأ نفوسهم حماساً لبذل أقصى ما يستطيعون لإعادة بعض الجميل للقلوب التي سخت عليهم بالكثير.

الإيمان بأن بر الآباء طريق مختصر للوصول إلى الله هو بحد ذاته أحد أكبر مصادر تشكيل العقل البار وأعظم رافد للإبقاء على جذوة الاهتمام برضا الآباء مشتعلة حتى النهاية.

ثالثاً: التربية المبكرة على التزام قواعد السلوك الاجتماعي العام:

تفترض التربية أن سلوك الطفل مرآة لعائلته، وأن سلوك المراهق هو تغذية راجعة لنوع التربية التي تلقاها منذ الصغر، وعليه فإن تعويد الأطفال على التعبير عن مشاعر الشكر تجاه الآباء، هو أحد الوسائل المناسبة لتقوية مشاعر المودة بين الطرفين.

وكلما أهمل الآباء تكوين هذه القاعدة السلوكية الرفيعة كلما نمى ـ مع الوقت ـ شعور بتجاهل ما يقدمه الآباء طوعاً وعن طيب نفس، مما يحدث خللاً في طبيعة العلاقة بين الطرفين يجسدها سلوك الأبناء الخشن إزاء ذويهم.

رابعاً: التربية على المشاركة وتحمل المسؤولية:

إن أحد أهم أسباب عقوق الأبناء هو الدلال المفرط، وتمثل نمط معيشي سلبي يكون فيه الأبناء مجرد متلقين للخدمة الأبوية دون أن يطالبوا برد بعض ما عليهم من التزامات تجاه الأسرة التي ينتمون إليها.

ولعل وسائل الرفاهية الحديثة التي يأتي على رأسها الخادمة والطباخ والسائق والمزارع هي أحد الأسباب التي عطلت عضلات عقول الأبناء وأرخت أجسادهم، وأصابتهم بالبلادة والجمود والرغبة في الاتكال على الآخرين حتى في أبسط أمورهم الخاصة.

إن من يربى على الأخذ دون العطاء تضعف قابليته مع

الزمن لفعل ما يعبر عن شعور بالواجب أو يدل على جدية في التعامل مع المهام الأسرية في الوقت الذي يبدأ فيه بالتمحور حول ذاته والإحساس بأنه شخص مميز ولد ليعيش حراً مدللاً ما قد يتطور لاحقاً في الحالات الأكثر سوءاً لنوع من النرجسية منشؤها تضخم الأنا السفلى والرغبة بالاستعلاء على الآخرين.

وحدها التربية على قيم البر والإحسان وصلة الرحم ما سيرسخ في وجدان الطفل الصغير حب العمل، ويعوده على الشعور بمن حوله من المخلصين وعلى التفاعل الإيجابي معهم أخذ وعطاء مما يشكل وقاية له من الصدمات الكبرى والانتكاسات الموجعة التي تنتجها التربية الإتكالية الباردة المشاعر.

خامساً: العدل بين الأبناء:

إنه لمن غير المتصور أن يطالب الأبناء الذين حرموا من العدل في داخل بيوتهم بأن يكونوا أبناء بررة فالجزاء من جنس العمل، وقديماً قيل: (إنك على قدر ما تبذل من ود فإنك تنال من الحب) وكما تدين تدان.

من الطبيعي أن اضطراب ميزان العدالة الأبوي تجاه الأبناء سيؤثر سلباً على أولئك الذين يرون أنهم يعانون تمييزاً في المعاملة من قبل ذويهم وعليه فالبادئ بالتمييز هو المسؤول عن كم الانتهاكات الأخلاقية التي ستلحق بالأب أو الأم المتسبب في إرباك ميزان العدالة، والتلاعب بمشاعر البعض على حساب العدل والإنصاف.

شروط خاصة في مرحلة الشباب تساعد على تحقيق البر:

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة:

تقود العاطفة الذكية الشاب ليقترن بزوجة ذات دين وخلق الأمر الذي يمهد لعلاقة أسرية متوازنة يعرف من فيها ما لهم وما عليهم دون افتئات على حق أو تجاوز لواجب وعليه فالمرأة الصالحة لن تكون سبباً في تدهور علاقة الزوج بأهله الأمر الذي يقودنا لدعوة الأبوين لتجويد خياراتهما التربوية حتى يستبطن الابن منذ الصغر مثل هذه القناعة وتكون مقياسه حين يبدأ بالبحث عن شريكة الحياة.

ثانياً: اختيار الزوج الصالح للفتاة:

قد يحاول الزوج السيء الخلق، ضعيف الإيمان أن يعطل أدوار زوجته في الحياة ويصيبها بالارتباك وبحالة من الذهول عن أداء واجباتها تجاه أهلها وذويها.

ومن هنا فإن ترتيب العلاقات الاجتماعية، وتحديد اختيارات الزواج وفق المبادئ والقيم الإسلامية التي تدعو إلى ربط القبول والاختيار لشريك الحياة الزوجية بميزان الالتزام والمحافظة على السلوك الإيجابي هو صمام أمان للعائلة الأم قبل أن يكون صمام أمان للبيت الجديد، والذي لو فرط في اتخاذه مطلباً أساسياً في إتمام مشروع الزواج فإن ذلك يعتبر مقدمة لارتباك العلاقات الأسرية في المستقبل.

حيث أن ضعيف التدين رجل كان أو امرأة لن يعنيه أن

يكون الطرف الآخر باراً بأبويه أم عاقاً لهما بل ربما شكل حجر عثرة أمام العلاقة الأسرية التي تضطرب تبعا للانفعالات العشوائية. التي مصدرها الطرف غير الملتزم بالدين.

ثالثاً: الامتناع عن الدخول في منافسة على مشاعر الابن بين الأم وزوجة الابن:

لعل من أكبر أسباب تدهور العلاقات الأسرية وانكفاء الأبناء على حياتهم الأسرية الجديدة بعيداً عن الاهتمام بالأبوين دخول الأم في منافسة حامية مع زوجة الابن على امتلاك مشاعر ابنها والاستحواذ على اهتمامه.

رغم أن مثل هذا السلوك يخلق جواً غاية في الكآبة والقتامة، ويحوّل مشاعر الفرح بالزواج الجديد إلى رغبة عارمة في السيطرة على الشاب الذي بدأ يلحظ صراعاً خفياً أو علنياً بين أمه وزوجته على امتلاكه، في الوقت الذي كان يتأمل أن يكون بيته الجديد عشاً للأمان والمحبة، وازدهار العلاقة بين أسرتيه الأولى والثانية، وما لم يتم الامتناع عن المزايدة في موضوع لا يحتمل إلا العفو والصفح والغفران فإن الأجواء سوف تظل مشحونة بمشاعر الرغبة في تسجيل نقاط ضد مرمى الهدف الآخر.

والمحزن في الأمر أن يطالب الابن بأن يتخذ موقفاً صارماً من هذه التصرفات بينما لا يقوى على مواجهة أمه لكونها في منزلة لا تسمح بأن يصارحها بأنه أصبح حائراً ومتوتراً من جراء سلوكها الغريب.

حتى لا يضرب الأب رأسه وحيداً في الحائط عند الكبر،

وحتى لا تفعل الأم مثل ذلك، عليهما أن يحسنا تربية أبنائهم، وأن يمنحوهم من العاطفة ما يكفي لبناء جسور المودة التي لا تقوى الأيام على الإضرار بها فيطوروا من وسائل الاتصال الفعال ويبتكروا من الأساليب التربوية ما يتناسب وعمق أهدافهم وأصالة رؤيتهم لغد أكثر إشراقاً وأجيال أقدر على الوفاء بالتزاماتها وإن كثرت[1].

❀ ❀ ❀

(١) للتعرف على مزيد من آليات تفعيل العلاقة بين الأباء وابنائهم اقرأ لمنير عامر وشريف عامر تربية الأبناء في الزمن الصعب، ١٩٩٤م، دار العلم للملايين: بيروت.

التربية المتكاملة لا المتقابلة

إلى أي مدى يعتقد الرجل الشرقي أن مسؤولية تربية الأبناء تقع على عاتق المرأة، وما هي الصورة الذهنية المترسخة في عقل الزوج حول طبيعة دوره داخل الأسرة؟!!

الإجابة السريعة والعفوية تحسم المسألة لصالح المشاركة في العملية التربوية، وتنفي أن يحيل الرجل الشرقي مسؤولية التربية والتوجيه إلى الأم وحدها.

فالأحاديث السائدة بين الناس أن الأب والأم كلاهما يتحمل جزءاً كبيراً من هذا الواجب.

لكن ماذا لو تركنا الميدان النظري، والتفتنا إلى ميدان الممارسة والسلوك، فهل سنجد الصور الحية تتطابق مع الطرح المجرد أم أن ثمة تبايناً في المواقف يدفعنا نحو الإقرار بوجود تقصير من جانب الرجل في هذا الجانب، وإن زعم الإحالة والتفويض في مسألة التربية هو زعم له حجيته وبرهانه.

نظرة واحدة إلى الأجندة اليومية للرجل تعكس حالة التشابك في المواعيد والأعمال على نحو ينقطع معه الرجاء في وجود فسحة من الزمن يمكن تخصيصها لأفراد العائلة.

فساعات العمل اليومي تأخذ نصيبها وافراً منه، وفترة الظهيرة تستقطع للنوم والراحة، وفترة المساء مخصصة لاستيعاب الأنشطة التي لم تتسع لها ساعات الدوام الرسمي، والليل للترويح مع الأصدقاء والسمر معهم أو هو وقت ينخفض فيه النشاط الذهني ويهبط معه مؤشر الطاقة على نحو يدفع بالأب للتسمر أمام التلفاز والتنقل بين القنوات الأرضية والفضائية.

وبمثل هذا التوزيع غير العادل لأوقات العمل والراحة يصبح نصيب الأبناء من الأب فضول الأوقات فحسب.

وفضول الأوقات عادة ما تأتي على غير ترتيب وإعداد مسبق مما يخفض من حجم العوائد المكتسبة من اللقاءات العائلية.

بطبيعة الحال هناك نقطة جوهرية لا بد من التعمق فيها وهي تفقد (الزمن النوعي) الذي هو أهم بكثير من (الزمن الكمي) الذي ألقينا عليه نظرة عامة من خلال الأجندة اليومية التي تحدثنا عنها آنفاً.

الزمن النوعي هو الوعاء الذي يحوي بداخله صور التفاعل الخلاق ما بين الآباء والأبناء، وفيه يتم نقل الرسائل المعنوية والتوجيهات الأبوية في مناخ أسري صحو وفاعل.

وحين نتحدث عن الزمن النوعي فإننا هنا نلغي من حسابنا تلك الأوقات الضئيلة المردود التي يكون فيها الأب مشغولاً ومنصرفاً ذهنياً عما حوله.

فالأوقات التي ينصرف فيها الفكر نحو المسؤوليات الأخرى هي أوقات لا يمكن الركون إليها لتحقيق التفاعل الخلاق بين

أفراد العائلة والذي هو صمام الأمان ضد الشعور بالحرمان العاطفي الذي يمثل أحد أكبر أسباب الانحراف والضياع.

وعليه فلا بد من الالتفات إلى أن الوجود الجسدي لا يعني بالمطلق أن الأب يقوم بمهماته التربوية في تلك الفترة.

من مظاهر تقصير بعض الآباء عن تحقيق أدوارهم في التربية والتهذيب رؤيتهم للمنزل على أنه مكان للاستراحة من عناء العمل، دون أن يشركوا مع تلك النظرة طبيعة الأدوار التي تنتظرهم إزاء عائلاتهم التي تطالبهم بالكثير، الشيء الذي يؤثر على طريقة سلوكهم في المنزل والذي يترجم حالة غياب الوعي بالواجبات المكثفة المناط بها رب الأسرة، والتي تحتاج منه إلى طاقة معنوية ولياقة ذهنية يفترض أن تفعّل لصالح هدف مد الجسور بين الآباء والأبناء.

إن دور الأب لا يقتصر على جلب المال فحسب، وإنما بناء الإنسان هو المهمة الأكثر صعوبة والأخطر من حيث النتائج المترتبة على التفريط بها.

ومن الذهول عن الواجب والجهل بالأولويات أن هذه المهمة الحساسة والعظيمة تصبح في ذيل القائمة.

أي اختراق للثوابت وأي تفويت للفرص الثمينة يرتكبها كل أب يضيق أفقه، فيغض الطرف عن المهمة الأعظم التي إن فوّتها أضاع أبناءه، وأضاع معهم مجتمعاً بأكمله؟!!.

❀ ❀ ❀

تقويم أم انتقام؟

عقاب الطفل هل هو وسيلة للتنفيس عن غضب مكبوت، أم هو وسيلة لتقويم السلوك؟

لا شك أن من بين الأوراق التربوية التي طالها الخلط والتشويه مسألة استخدام الضرب كوسيلة للتأديب والإصلاح.

فالتربية التقليدية لا زالت تهيمن على بعض الأسر التي تدعي الخبرة والدراية في كل ما يتعلق بتربية الفرد وتهيئته للحياة القادمة، رغم أن ممارساتها تفضح قدراً بالغاً من الجهل بالأطر العامة، والمقومات التي تحكم بناء الإنسان لتصل به في النهاية إلى مرفأ الأمان.

من دلائل الافتقار إلى المفاهيم التربوية الصحيحة الأسلوب الخاطئ في استخدام الضرب.

وقبل الخوض في المسوغات التي يقدمها البعض لتبرير الضرب كوسيلة يمكن أن تعزز الأداء التربوي علينا أن نعيد طرح السؤال الذي بدأنا به حديث اليوم فهل الضرب الذي يمارس من قبل الآباء والأمهات هو عمل منطقي مبرر، أم هو تفريج لطاقة سلبية من الغضب العارم والسخط على سلوك الابن أو البنت

بغض النظر عن الكيفية التي ينفذ بها مثل هذا السلوك من قبل الآباء.

استقراء حال الأسر التي تعتمد هذا الأسلوب يؤكد أن آخر شيء يخطر ببال من يرخي لنفسه العنان في اعتماد هذه الطريقة لحمل أبنائه على ما يريد، هو الربط بين الانتقام من التمرد على النظام، وبين الهدف البنائي من تلك الوسيلة التي غدت تنفيساً عن الغيظ والحنق أكثر من أن تكون وسيلة ترفع من دافعية الابن للالتزام بتوجيهات الاهل، وملاحظاتهم الثمينة.

إذ أن قلة ممن يلجؤون إلى ضرب أبنائهم يفعلون ذلك عن وعي وإدراك.

ولذلك تكون هذه الوسيلة هي آخر ما يفكرون به بعد أن يستنفدوا كل ما لديهم من حلول من شأنها أن تحتوي المشكلة دون أن تترك ندوباً وجروحاً قد يصعب الشفاء منها.

إن استيعاب الأبناء واحتواء أزماتهم لا يأتي على رأس عصا غليظة، ولا على ظهر فردة حذاء، او من تحت كرباج أعد سلفاً لمهمة تصلح للهدم أكثر من صلاحيتها للبناء.

ومن السخرية أن ينافح فريق الآباء المتحفزين دائماً لتصفية حساباتهم مع الأبناء بطريقة فجة عن منطقهم الضعيف بتوجيه الإسلام لضرب الأبناء في سن العشر سنوات إذا ما تراخوا عن الصلاة، ويتخذون مثل هذه الدعوة حجة لتبرير اندفاعهم في هذا الاتجاه دون النظر إلى الدور المحدود الذي يمكن أن يؤديه الضرب في أحسن الظروف، وأفضل الأحوال.

والضرب الذي أشار به النبي الكريم عليه الصلاة والسلام

يختص بحالة محددة لها ظروفها ودواعيها.

كما أن أهداف الإسلام في تكوين الفرد الواعي لا تحققها التجارب العشوائية، والمعالجات المرتجلة التي لا تحكمها ضوابط تكفل لها الوصول إلى الأهداف المرجوة.

وليس هناك هدف للتربية أسمى من بناء الشخصية المتوازنة ذات الإحساس المرهف، والشعور الشديد بالمسؤولية الفردية تجاه المهمات والواجبات المنوطة بها.

هذا التميز في النظر إلى الذات والحياة لا تقوى الممارسات الانفعالية على تحقيقه والتي لا تعدو أن تكون شحنات سلبية انطلقت من عقالها على غير هدى أو بصيرة.

ولعل من أوضح القرائن الشاهدة بذلك تقليص حجم البدائل المستخدمة في التربية الوالدية.

وبحوار بسيط مع الفئة التي تكثر اللجوء إلى الضرب تتضح المساحة الفكرية الضيقة التي يتحرك من خلالها هؤلاء الناس .

حيث يختزل أحدهم الحديث الذي يشم فيه رائحة انتقاد لأسلوبهم الحاد، ويبادر إلى إنهاء الحوار مع الطرف الذي يشككهم في جدوى الانتقام المغلف بغلالة لا تكاد تستر الانفعال والغضب الذي يستبد بهم في أغلب الظروف والأحوال.

قلة الصبر، انعدام الحيلة، ضيق الأفق، والرغبة في التخلص من وجع الرأس، مع الإصرار على فرض الرأي بالقوة في الوقت الذي تقل فيه الرغبة لإجراء حوار لمعرفة أسباب الخطأ الذي صدر من هذا الابن أو ذاك هي الأسباب الحقيقية

التي تقف وراء الإصرار الغريب الذي يبديه البعض للرد على السلوكيات السلبية التي لا ينفك الصغار عن اقترافها بحسن نية أو بقصد واختيار.

أياً ما كانت أسباب السلوكيات السلبية، ودوافعها الكامنة فلا بد من البحث والتروي لاكتشاف الدوافع التي تغذي ذلك السلوك ليتحدد العلاج تبعاً لتلك الدوافع.

أما أن تنتهي أغلب لحظات المواجهة بين الآباء والأبناء بمعركة كلامية يتبعها إهانة بدنية فذلك هو العجز الكامل والإفلاس التام الذي يؤكد أن رصيد هذا النوع من الآباء هو رصيد متهالك قد ينفع في جلب المزيد من الأزمات المستقبلية، وقد يفيد في تحريك مشاعر الكره تجاه الطرف الممارس للعنف، لكنه حتماً رصيد لن يبني إنسان!!

❀ ❀ ❀

تأديب أم تعذيب؟

حين اكتشفت أن ابنها الذي يبلغ من العمر ثماني سنوات يمارس التدخين شعرت أن الأرض تتزلزل من تحت أقدامها فكيف يدخن صغيرها الذي لم تبخل عليه بشيء، ولم تهمله في يوم من الأيام؟

في صبيحة اليوم التالي حمل الهاتف صوتها الحزين، وبكثير من المعاناة بدأت تروي تفاصيل الحدث المفاجئ والذي وصفته بأنه سلوك خطير يؤذن بكارثة محتملة إن لم تبادر في علاج الموقف.

قالت الأم: لقد انهلت عليه ضرباً بكل ما أوتيت من قوة، فقدت أعصابي، ورحت أنفس عن شعوري بالإحباط وخيبة الأمل.

لقد انهارت كل أحلامي فجأة وأحسست بالصدمة، وكان لابد وأن يعلم مدى الجرح الذي سببه لي حين بدأ يقلد من هم أكبر منه سناً من أبناء الحي، الشيء الذي قد يحوّله إلى مدمن في فترة قصيرة.

ثم أضافت قائلة: لقد ضربته حتى كلّت يدي، وحين رأيت

الدم يسيل من ساقه لم أبال بذلك، وتركته ينام دون أن أداوي جرحه.

لم يفت هذه الأم التي غدت في حالة لا تحسد عليها أن تقول: «صدقيني لقد أمضيت الليل كله، وأنا في حالة يرثى لها، إذ داهمتني الحمى، وجافاني النوم، وبت أرثي حظي وقسمتي في الحياة».

مثل هذه الحكاية يمكن أن تتكرر في كثير من البيوت التي تعتقد أن إيمانها ببعض النظريات والمثل وحرصها على أن يجسدها الأبناء في الواقع يكفي لتحقيق الأحلام، وجعل الحياة وردية وناعمة.

لا تتردد الأسر المسرفة في أحلام اليقظة في القول بأن الموارد الثلاث من العاطفة والمال والوقت تكفي لتحويل الآمال إلى واقع حي.

وذلك وهم من الأوهام القاتلة التي فتكت بأسر كثيرة اعتقدت خطأ أنه كلما ارتفع سقف الأهداف التربوية كلما اختصرت المسافة إليها، طالما أنها تتوفر لها هذه المقومات الثلاث.

إذ أن العاطفة غير الذكية قد تفسد أكثر مما تصلح، والمال الذي لا تضبطة سياسة واعية قد يتحول إلى وسيلة تهدم روح الفرد، وتضعف قابليته للسيطرة على رغباته وأهوائه.

كما أن الوقت المفتوح الذي يصرف دون هدف واضح وبرنامج محدد هو وقت مهدور نتيجة قصور الأدوات المعرفية للطرف الذي يجهل كيف يستثمره على النحو الصحيح.

نحن بحاجة ماسة إلى حزمة كبيرة من المفاهيم التربوية عالية الجودة لتضاف إلى الرصيد المعرفي للآباء والأمهات حتى تتوفر لهم رؤية واسعة تتجاوز خنادق الأفكار الضيقة، ومآزق النظرة المبتسرة، والفهم القاصر الذي يجلب من الأزمات أضعاف ما قد يأتي به من حلول طارئة، سريعة التلاشي والإنطفاء.

هذه الحزمة المفاهيمية من شأنها أن توسع دائرة الفهم للأطراف المعنية بالتربية وبناء الشخصية بحيث تتوفر رؤية نافذة تقي الآباء والأمهات من العثرات والانحناءات في مسيرتهم التربوية.

وبالعودة إلى سلوك الأم الذي أعده مبالغاً فيه، وقاصراً عن الوفاء بمتطلبات احتواء الموقف ومعالجته معالجة شافية يمكن الوقوف على جملة من الأخطاء الموضوعية التي صدرت منها دون وعي وإدراك.

من ذلك اعتبارها لتورط طفلها في التدخين أنه كارثة نزلت به وبها، وفي ذلك مبالغة وخروج عن خط الاعتدال، الأمر الذي يحتاج إلى الشجاعة في نقد الذات والبدء بها، قبل أن ينتقد الطفل ويدان.

إلى جانب قصور الرؤية حول سلوك الطفل المفاجئ كان يجب أخذ عدة مسائل بعين الاعتبار قبل اللجوء إلى العقاب البدني، مثل مراعاة المرحلة العمرية للطفل لمعرفة مدى قدرته على إدراك خطورة التجربة التي قام بها، إلى جانب تحديد خطوات عملية مناسبة لاحتواء الموقف والسيطرة عليه.

ولو تأملنا الحالة التي بين أيدينا لاتضح لنا أنه من الصعب

أن يحيط طفل في هذه السن الصغيرة بالنتائج السلبية التي تترتب على هذه التجربة الساذجة التي يقوم بها.

وبالتالي يعد تجريم الطفل الذي صدر منه سلوك سلبي في مثل هذه السن الصغيرة هو دليل على قلة المعرفة وضعف المفاهيم التي بحوزة الكبار.

❀ ❀ ❀

استطلاع هام

مَطْلَعَ الألفية الثالثة أنجز المركز الوطني الجزائري للدراسات والتحاليل الخاصة بالسكان والتنمية CENEAP دراسة حول العنف الأسري شملت تسع ولايات، وبلغت عينة الدراسة ٤٤٥ مستجوباً ومستجوبة.

كان المسح الميداني يهدف إلى الوقوف على بعض الأرقام التي قد تلقي الضوء على حجم العنف المنزلي، ومدى اتساعه ليقف الجميع على آثاره الخطيرة، بالإضافة إلى ما تعنيه الأرقام من دلالات حرص المركز الوطني الجزائري للدراسات والتحاليل على إثباتها في قائمة توصياته لتتضمنها المناهج الدراسية أملاً بإشاعة ثقافة اللاعنف، ونشر قيم التسامح بين الجنسين، والتحذير من التساهل في تبني العنف بشتى صوره وأشكاله كخيار أسري لحل المنازعات وفض المشاكل نتيجة للآثار السلبية المفزعة التي تترتب على اختياره كلغة أسرية.

دلالات الأرقام التي شملتها الدراسة حملت مجموعة من المؤشرات التي يفترض أن تأخذ بعين الاعتبار من قبل المؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية لا في الجزائر وحدها، بل على مستوى العالم العربي نتيجة تشابه المعايير، واشتراك العوامل

الداخلية التي تغذي تيار العنف الأسري، وتسمح له بالتجذر في النسيج الاجتماعي لدى من تتوفر لديهم ذات الشروط والعوامل المنتجة لذلك النوع من السلوك المتطرف.

٧٠٪ من النساء اللواتي تعرضن للعنف عمرهن يتراوح بين ٢٠ ـ ٣٩ سنة، ٧٥ ٪ مستواهن التعليمي ابتدائي ومتوسط، ٣٧٪ ممن شملتهن الدراسة مطلقات وأرامل، ٥٢ ٪ منهن ربات بيوت، و٧٤ ٪ منهن لا يرفعن شكاوى للسلطات .

وعليه فإن هذه الأرقام ليست سوى مرآة عاكسة للقيم السائدة في المجتمع بغض النظر عن جدارة تلك القيم للتفعيل أو الإهمال.

فالسيدات اللواتي تعرضن للعنف الأسري لجأ ٧٤٪ منهن للصمت وآثرن عدم إبلاغ السلطات بما يحدث لهن في المنزل.

وهذه الأرقام المخيفة من شأنها أن تفتح نافذة على منظومة كاملة من القيم الدنيا التي علت فوق الرؤوس قروناً متطاولة دونما سبب واحد يخولها تلك السيادة غير المنطقية أو المبررة.

وقد يقول قائل هاهنّ النساء قد زاحمن الرجل في العمل بل وتسببن في بطالته في بعض المجتمعات العربية فأين هو الظلم الذي تتحدثين عنه؟

والجواب هو أن القابلية لظلم المرأة لا زالت موجودة، ولا أدّعي أن الرجل هو وحده الذي يختص بها بل إن المرأة تأخذ نصيباً لا بأس به في ظلم نفسها، وتكبيل إرادتها حين تلقن ابنتها منذ الصغر تلك الأمثلة التي سوغت لضعفاء النفوس من الرجال أن يبالغوا في إهانة المرأة، ويدوسوا على كرامتها معتقدين أن

إمكانية التظلّم ورفع الأمور للسلطات هي مسألة غير واردة، فالعرف المجتمعي يحرض المرأة على الصبر، ويدعوها للتحمل ويطالبها بالبقاء في عش الزوجية حتى وإن تحول لمعتقل تسأم فيه الأذى والألم والعذاب!!

والأسئلة التي تتزاحم في ذهن كل شخص متحضر رجلاً كان أم امرأة: بأي نوع من السلطة استأثرت تلك الأفكار على العقول والأفهام؟

وتحت أي مبرر فرشت لها الأرض، ورُوِّضت لأجلها النفوس فما عاد في الطبقات الشعبية من ينكر المعاني التي أعلت لجنس على حساب آخر بغض النظر عن اعتبار المساواة في الكرامة الإنسانية، والعدالة في الحقوق والواجبات حسب ما أقرّته الشرائع السماوية وحضت عليه المبادئ والأعراف الإنسانية على مدى القرون؟!!

ولماذا يصر البعض على تلقين المرأة أفكاراً تنحت في مشاعرها، وتأسر طاقتها في اتجاه الصبر على الضرب والألم دون أن ترفع رأسها وتخبر أجهزة الأمن بأن في بيتها ظلم لا مبرر له، وقسوة لا مسوغ لها؟

أسئلة صعبة تدعونا لأن نعيد قراءة هذا النمط من التفكير من جديد.

❀ ❀ ❀

نساء يستهدفهن العنف

أثبتت منظمة الصحة العالمية أن ثلثي النساء في العالم يتعرضن للإساءة والأذى البدني من جراء العنف الذي يرتكب ضدهن داخل المنازل! ففي دولة بيرو مثلاً تتعرض نصف النساء للضرب بأيدي أزواجهن! ولكن المفارقة الغريبة أنه كلما زادت الرفاهية كلما ارتفعت نسبة العنف تجاه المرأة حيث تتعدى نسبة العنف ضد النساء في المدن الكبرى ٦٢٪.

الأمر الأكثر سوءاً حسب ما صرحت به ميكو يوشيهاما رئيسة الفريق الياباني الذي يتابع دراسات منظمة الصحة العالمية هو أن هذا العنف يدفع نحو ثلثي هؤلاء الضحايا إلى محاولة الانتحار وتكرار المحاولة أكثر من مرة[١].

لقد أكدت النتائج التي توصلت لها منظمة الصحة العالمية وجود علاقة طردية بين ارتفاع مستوى التعليم في المدن الكبرى وزيادة عدد حالات النساء اللواتي يعانين من سوء معاملة الأزواج مما يبطل الاعتقادات السابقة بتراجع معدلات العنف الأسري تبعاً للمستوى التعليمي.

---

(١) مجلة الخدمة الاجتماعية / تمحيص في إشكالية العنف المنزلي.
www.swmsa.com

بالعودة إلى جذور المشكلة يمكن فك رموز هذه النتيجة التي قد تفاجئ كثير من المتفائلين بحدوث تطور نوعي في العلاقات الأسرية التي يكون طرفاها من الفئة المتعلمة.

وعليه فالخلل الذي ينتج عنه تلك الفوضى في العلاقات الأسرية ويؤدي إلى نشوب حرائق تتجاوز مسببيها إلى النشء الجديد، ومن ثم تصدر تلك الأزمات إلى المجتمع على شكل انحراف أحداث، وجنوح فتيات، وتسرب دراسي، وانخفاض الدافعية نحو التعلم بالنسبة لجيل الأبناء ممن شاءت لهم الأقدار أن يعايشوا نوعاً من السلوك الاتصالي الفاشل بين أبوين انقطعت بهما سبل التواصل الإيجابي، منشأه بالدرجة الأولى آباء لم تستطع شهاداتهم الجامعية أن تهذب سلوكهم.

إن مما يمنع استفحال ظاهرة العنف الأسري هو مراجعة عالمية شاملة للموضوعات التي يتم تناولها في المناهج التعليمية والتي مع الأسف الشديد تكاد تتماثل في تجاهلها لأي مضامين تزود الفتية والفتيات بأهداف تكوين الأسرة، وسبل بقائها وتطورها.

إن التنكر الواسع النطاق والذي شمل أغلب دول العالم لتكوين ثقافة أسرية يتحصن بها الطلبة والطالبات ضد النزغ والرعونة والاندفاع لقضم الآخر، ونتف ريشه وتحويله لضحية لا حول لها ولا قوة هو الذي تسبب في تلك الخشونة الطاغية من قبل الرجل المتعلم الذي لم يخضع لتربية مدرسية تعلمه أصول التحاور، وطرح وجهات النظر دون انتهاك الخطوط الحمراء والتضحية بعلاقة أسرية يفترض أن يحظى الحفاظ عليها بأولوية مطلقة.

إن التساهل في تكوين منظومة من القيم العليا التي تأمر بالتسامح، وتطالب بضبط النفس، وتعرف بفنون إدارة الخلاف وحل المشاكل بالطرق السلمية هو أحد الثغرات الكبرى التي تعاني منها الأنظمة التعليمية على مستوى العالم.

ما يزيد المشهد قتامة هو ذلك التحول السريع نحو برامج تعليمية تخرج أفواج مزودة بخبرات تتواءم مع سوق العمل دون أن يكون في تصور تلك المجتمعات المتقدمة ـ ناهيك عن غيرها ـ رفد المناهج التعليمية ببرامج قادرة على أن تخلق حالة من التوازن النفسي، والانفتاح الذهني على الجنس الآخر بطريقة تتناسب والطفرة الصناعية التي تشهدها تلك المجتمعات.

اتساع الفجوة بين اقتصاد عالمي يسجل في كل لحظة مزيداً من النجاح، وبين حالة الزحف بل ربما التوقف عن تكوين الشخصية المؤهلة للنجاح في أدوارها الأسرية هو واحد من أهم الاختناقات التي يشهدها العالم على مستوى التعامل بين الجنسين، ومن ثم على مستوى حماية المجتمعات الإنسانية من شرور انفراط عقد العلاقات الأسرية وتناثر حباته على أرصفة الجهل وقلة الاكترات حيث يصبح التنكر لدور الشريك مسألة عادية لا يتبعها وخز من ضمير، أو شعور بالذنب في حقه.

من بين الحلول التي قد تخفف حالة الاحتقان العالمي في مجال العلاقات الأسرية تحرك مجتمعي يستقطب النخب الاقتصادية والعلمية والفكرية لتقوم بأدوارها مستثمرة شتى الحقول والمجالات التي تمكنها من تمرير رسائل وقائية ضد حدوث مزيد من التدهور في هذا البناء الحيوي الشديد الأهمية.

الإبطاء والتأخير في تحقيق هذا المطلب دليل على ضعف الإرادة وهزال الضمير والذي سيؤدي إلى أن تستفحل الأزمات وتتسع الصدوع لتغرق سفينة المجتمعات والتي لن تعرف الاستقرار وثمة معاناة وألم يشق صداه عالم الصمت الرهيب إزاء العنف الأسري.

❀ ❀ ❀

التطور الفكري

إنه لمن الصعب أن تضع كشفاً لمعرفة التطور الفكري الذي يحصل للإنسان بمرور الوقت ويوصله للمستوى الذي يعبر عن شخصيته في لحظة الزمن الماثل، إلا أن فلترة القنوات التي تؤثر على فكر الإنسان وتحديداً في مرحلة الطفولة والصبا ربما كان عملاً أقل صعوبة.

إن الشيء الذي لا يمكن التحكم به هو نتائج التجارب التي يمر بها هذا الشخص أو ذاك ولكن إيجاد قنوات تساعد على تشكل الفكر بطريقة سليمة في بدايات العمر مسألة شديدة الأهمية وتستحق الكثير من العمل والجهد.

فيما يختص بأجيال اليوم التي تعاني من نقص في قنوات التأثير يصبح حالها في بعض الوجوه كحال الأمم التي ليس لديها أوعية ثقافية، وقنوات تربوية تستهدف في الإنسان عقله ووجدانه لتصيغه وفق منهج محكم يراد له أن يسير عليه.

اليوم وأجيالنا تعيش على منتجات الثقافة الغربية وتحديداً وسائل الاتصال لا تجد لها في المقابل روافد تتيح لها المحافظة على الخصوصية رغم استخدام تلك الوسائط الاتصالية التي يمكن أن توظف في دعم الذات، وإثراء الحصيلة المعرفية لبناء قاعدة

موثقة من الخبرات التي تساعد الفرد على تجويد أدائه بغض النظر عن الدور الذي ينشغل به.

ونحن نرى رياح التغريب تحاول أن تقتلع جذور الشباب يحق لنا أن نتساءل عن الروافد الوقائية، والقنوات المشروعة النابعة من محيطنا الخاص لتشكيل عقول الفتيان والفتيات تبعاً للمنظومة الأصيلة من القيم والأفكار المتصلة برؤيتنا للحياة ومعاييرنا في قبول الأشياء وردها.

هذه المصادر الوقائية التي نطلق عليها قنوات تأثير إن لم يقم بها البيت والمدرسة ومؤسسات المجتمع فلا ندري إلى من سيحتكم الشباب وهم المستهدفون بحملة ثقافية ضارية تستهدف تشكيل عقولهم تبعاً لمعايير تتناقض جملة وتفصيلاً عن معاييرنا التي تناقلتها أجيال حققت ذاتها وأسست لها عوالم من التأثير دون أن تضطر للمقايضة على مبادئها بشيء.

شبابنا اليوم يفتقدون للعمق الذي تميزت به أجيال خلت ما يحولهم لطرائد سهلة لا تحتاج لكثير جهد لكي تقع في الفخ دون مقاومة.

أن يتقمص الشباب النمط الغربي في القول والعمل ثم لا تقرع أجراس الإنذار في المؤسسات الأولى التي تشكل خط الحماية الأول فهذا معناه أن الأمة تختار لنفسها أن تندثر أمام القيم المعلبة المعاد عرضها في سمائنا المستباحة.

من المؤلم أن يظل الكيان التربوي متفتتاً على نفسه متشظياً لا يعرف كيف يعيد تنظيم ذاته تبعاً لإيقاع السير المنتظم الموصل لنهايات سعيدة تعيد للأمة شبابها وللعالم توهجه الذي انطفأ تحت

شعار العزف على وتر الغرائز دون كلل أو ملل.

إن القيم وإن طال زمن هجرها لا تتلاشى أو تموت إلا أن من يجافيها تتدهور صحته النفسية طردياً كلما بالغ في السير في الاتجاه المضاد حتى إذا أمعن في التوغل في الدروب الصعبة وبان له حجم الضريبة الفادحة لاختراق الخطوط الحمراء جأر بالشكوى وفر من نفسه لا يلوي على شيء وقد انطفأ سراجه ونزعت فتيلته!!

تتنوع أمامنا الخيارات كلما أتى إلى الدنيا مولود بيننا جديد وتتكرر خياراتنا كلما درج لنا أطفال هم أنقى من ماء الغمام يبحثون عن سرب من الطيور المحلقة لينضموا إليها، ولسان حالهم يحكي ذلك العنفوان الذي ما زال ينمو ويشتد، حتى إذا أنهى أولئك الصغار مرحلة الطفولة وولجوا عالم الكبار تداعت عليهم رياح التغريب مغتنمة سنوات الغفلة عن التفاتة جادة لذلك النبت الذي يقوى ويشتد دون أن يحظى بزاد للأيام القادمة تضمن له توازناً مقبولاً بين صحة الجسم البادية، وقوة الروح وإشراقة الضمير.

هذا التوازن الذي ننشده هو المحور الذي دارت عليه مدارس التربية في القديم والحديث وهو البوصلة الحضارية التي تحفظ التوازن بين المادة والروح لكي لا تتعرض المنجزات لأخطار التوقف أو الانحسار نتيجة القصور في النظرة لدور قوة الضمير في حماية المنجزات المادية.

خياراتنا اليوم وكما هي في الغد لن تتجاوز ـ إذا ما أردنا أن نحافظ على كرامتنا وأمننا ـ أن نصنع لأجيالنا الواعدة عالماً

من الرؤى المتدفقة عبر أنماط سلوكية وأساليب تربوية نابعة من منهاج محكم يستند إلى لغة عربية سليمة، ومنهج معرفي منضبط بتعاليم السماء وصور يومية تحكي عن تواصل حي بين الأجيال تلغى معه المسافات النفسية لصالح تمرير رسائل إيجابية تدعم تطلعات الجيل، وتقيهم شرور الثغرة المفتعلة بين الأجيال والتي ليست سوى إسفين يدق في عنق هدف تكوين الإنسان بما يضمن فاعليته لإنجاز أدواره المستقبلية على أكفأ صورة ممكنة.

حماية الإنسان من آفات الملوثات الخارجية من أفكار مجهضة لإرادة الإنسان، ورؤى قاصرة عن ترشيد سلوكه مسألة حياة أمة أو موتها، وتجاهل تحقيق هدف الحماية يعني الوقوع تحت تأثير الاستلاب الحضاري الجاري تنفيذه على قدم وساق وما أجيال اليوم التي تحاكي بقصات الشعر واللباس اليومي ولغة الحوار النمط الغربي في الفكر والسلوك إلا صدى لتدهور حصوننا التي باتت مهددة من الداخل أكثر من أي وقت مضى، هذه الحصون لا تعدو أن تكون بيتاً فقدت بوصلته، أو مدرسة عز فيها منهاج متقن، وأستاذ متمرس، أو مؤسسة ثقافية مجدبة من الأفكار العليا إضافة لمؤسسة إعلامية ركيكة الأداء وكل تلك المصادر الهشة أفرزت زرعاً لا يسر الناظرين.

❀ ❀ ❀

وسائل الإعلام والعنف

تتجاذب الباحثون الاجتماعيون ثلاث نظريات تحدد مساحة تأثير البرامج الإعلامية المنتجة للعنف على المشاهد، أولها نظرية التأثير القوي أو المطلق (نظرية الرصاصة الإعلامية) ويرى أصحابها أن وسائل الإعلام لها تأثير قوي ومباشر على الفرد والمجتمع يشبه تأثير الرصاصة التي لا تخدش فقط وإنما قد تكبّد المرء خسائر لا يمكن تعويضها[1].

النظرية الثانية، تؤيد محدودية أثر وسائل الإعلام ما أدى إلى اهتزاز نظرية الرصاصة الإعلامية أمام نتائج الدراسات الميدانية التي قام بها باحثون في ميدان علم النفس الاجتماعي حيث تبين لهم محدودية تأثير وسائل الإعلام مقارنة بالأثر الأبرز لوسائط اتصالية أقوى وأكبر يأتي على رأسها الأسرة، والمدرسة واتجاهات الفرد، وقادة الرأي، والأحزاب، وعوامل أخرى كثيرة تحول دون التأثير المطلق أو القوي لوسائل الإعلام على الفرد.

---

(١) وسائل الإعلام والعنف الأسري ـ مركز الدراسات أمان ٠١٤ آذار ٢٠٠٣.
علي راضي حسانين ـ لجنة العلاقات الخارجية ـ مجلس الشعب المصري.
http://www.amanjordan.org/aman_studies

النظرية الثالثة: وقفت بين النظريتين الأولى والثانية واتجهت للقول بالتأثير المعتدل لوسائل الإعلام وقد برز هذا الاتجاه في أواخر الستينيات، ويعتقد أصحابه أن تأثير الوسائل الإعلامية على الفرد تحكمه عوامل نفسية كثيرة ومتغيرات نفسية كبيرة، بمعنى أن أسلوب الفرد في التعامل مع وسائل الإعلام هو الذي يحدد درجة تأثره بالوسيلة الإعلامية وليس العكس، فالإعلام في هذه الحالة هو طرف مرسل يمكن أن تستقبل رسالته كما هي، كما يمكن ردها أو التفاعل مع جزء منها والتخلي عن الجزء الباقي.

الفرد في هذه الحالة هو صاحب القرار الأول والأخير في تحديد مستوى التفاعل مع المواد الإعلامية العديمة الجدوى أو الرديئة التي تحمل في طياتها رسائل سلبية للجمهور.

اللافت في هذا التباين الذي يمثل أبرز الاتجاهات التي يذهب إليها علم النفس الاجتماعي هو الالتقاء مع غالبية الناس في اتجاهاتهم نحو تأثير الوسائط الإعلامية على الأفراد والجماعات.

إذ يوجد تماثل يصل لحد التطابق بين الجمهور وبين الاتجاهات العلمية ما يرفع من مستوى التفاعل بين الطرفين فكرياً ويجعلهم في خط واحد.

التماثل في التصور والإدراك لحقيقة الأثر الإعلامي على المتلقي تكرر على مستوى التطبيق والممارسة حيث وجدنا من يحذر من الرصاصة الإعلامية فينأى بنفسه عن اقتحام حمى العروض الإعلامية الطائشة حذراً من رصاصة تقتحم عقله وترديه دون حراك.

هذا المنطق الحذر والسياسة المتحفظة تتطابق مع موقف أصحاب نظرية الرصاصة الإعلامية فيما يقف أشخاص آخرون على الموقف المقابل رافضين فكرة الحذر المتنامي من البث الإعلامي المكثف معتمدين على الأساليب التربوية المتفوقة التي وظفوها بذكاء في مشوارهم التربوي، إلى جانب الأرضية الثقافية الصلبة التي ينطلقون منها وتشكل لهم دعامة ذاتية ضد السقوط في فخاخ الإعلام.

وهم بهذا التحصين الذاتي وبتلك القدرة على اكساب أبنائهم ذات الحصانة لا يجدون مانعاً في أعطاء بعض الوقت للمواد الإعلامية التي لن تستطع اختراق منظومتهم الفكرية أو التأثير بعقول أبنائهم.

فريق ثالث من الجمهور أراح نفسه من عناء مناقشة الآثار الضارة للسيل الإعلامي المنطلق على غير هدى، ونأى بنفسه عن الأخذ والرد باحثاً عن فرص للترويح عن النفس تتجدد على الدوام دون أن يطرح على نفسه أية أسئلة حول درجة تأثره بالكم الذي يتلقاه إعلامياً.

النقطة الفاصلة ما بين هؤلاء وأولئك هو مدى البراعة في طرح الأسئلة على الذات، ومدى الجراءة في الإجابة الموضوعية عليها والتي أجزم أنها الحد الفاصل ما بين الإيجابية والسلبية في التعاطي مع الوسائط الاتصالية الحديثة.

بإمكان أي فرد أن يصدر حكماً مسبقاً على أنه لن يتأثر بالرسائل السلبية التي تحملها بعض العروض الإعلامية إلا أن إنهاء المسألة بإجابة واحدة ولمرة واحدة دون تكرار عرض

السؤال على الذات بين الفينة والأخرى معناه وجود قدر من اللامبالاة بالتصرفات مع غياب النقد الذاتي الذي يعد علامة على كفاءة العقل وتوهج الضمير.

من يهرب من طرح الأسئلة على ذاته خوفاً من إجابة غير سارة هو شخص يجب عليه التوقف بعض الوقت للتعرف على ضعفه قبل أن يستفحل ويصبح مشكلة تؤرق حياته.

والمكابرة عن اكتشاف نقاط الضعف خيار سريع لتناقص القدرات طردياً مع تفاقم حالة الإعراض عن فهم مدى التغير الذي يحدث في مسار الفكر وتالياً على مسار السلوك لدى الأشخاص الذين يرفضون طرح الأسئلة المتعلقة بأثر الإعلام على بيئتهم النفسية.

إن سلامة البيئة النفسية من أي تلوث إعلامي هو خيار رابح على طول الطريق وبغض النظر عما يقوله الآخرون يجب على المرء أن يكون سيد نفسه لا خادماً لها.

❀ ❀ ❀

خاتمة الكتاب

وقد وصلنا لنهاية الرحلة أصبح لزاماً علينا أن نذكر من جديد أن بناء الأسرة الفاعلة هو خيار متقدم وهدف متميز يسعى له النابهون من الجنسين، وإسقاط هذا المطلب من أذهان المربين هو ثقب أسود سرعان ما ستتجمع حوله مختلف أنواع الممارسات الأبوية الخاطئة نتيجة فقدان البوصلة المعرفية التي تضبط اتجاه السلوك وتحدد مساره.

وعليه فمن الخسارة أن يتمادى الآباء والأمهات في ادعاء العلم الكامل والفهم العميق لقواعد وطرق التربية الفاعلة بينما لا يتوفر لهم الحظ الكافي من المعرفة التي تضمن كفاءة أدائهم التربوي.

ومن جديد نعيد القول أنه من غير المستساغ عرفاً أو المقبول شرعاً أن يتجاهل الفرد حقيقة كونه بحاجة ليزداد علماً بأدواره الرئيسة، فالحكمة تقتضي البحث عن طرق مضاعفة الرصيد المعرفي، كما أن العدل يفرض على المربين أن يكونوا من أكثر الناس كفاءة واستعداداً لإنجاح مسيرتهم التربوية.

وما نتمنى حدوثه هو أن يبادر كل شخص حمل أمانة تربية الإنسان وبنائه من الداخل إلى استكمال منظومته العلمية في هذا

الحقل الخطير، وأن لا يتمادى في البحث عن المبررات والأفكار السلبية التي تحرضه على الركون والبلادة الذهنية.

ختاماً هذه دعوة متجددة للبحث عن الحكمة من مظانها والمعرفة من طرقها الصحيحة لنكون من بين صفوف البنائين حيث الخبرة الموثقة والدراية المتحققة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مريم عبدالله النعيمي
الإمارات العربية المتحدة
Alnaymiarticle@hotmail.com

من أهم المراجع

أولاً: من الكتب

١ ـ الطيب، محمد، **فن القراءة**، ١٩٩٨م، دار الأندلس الخضراء: جدة.

٢ ـ موسى، محمد، **التنازع والتوازن في حياة المسلم**، ١٤١٥هـ، دار الأندلس الخضراء: جدة .

٣ ـ التكريتي، محمد، **القوة الخفية**، ١٤٢٠هـ، دار المعارج: الرياض.

٤ ـ التكريتي، محمد، **آفاق بلا حدود بحث في هندسة النفس الإنسانية**، ١٤١٩ هـ، دار المعارج: الرياض .

٥ ـ ملك، بدر والكندري، لطيفة، **مختصر كتب تراثنا التربوي**، ٢٠٠٣م، مكتبة الفلاح: الكويت.

٦ ـ عدد من المؤلفين، **ندوة دور الأسرة في رعاية وتنمية الطفل نظرة مستقبلية**، ١٨ ـ ١٩ إبريل / ٢٠٠٠، المجلس الأعلى للطفولة، حكومة الشارقة.

٧ ـ أبو شقة، عبدالحليم، **تحرير المرأة في عصر الرسالة**، ١٩٩٠م، دار القلم: دمشق .

٨ ـ العيسوي، عبدالرحمن، **الطريق إلى النبوغ العلمي**، دار الراتب الجامعية: بيروت.

٩ - زهران، حامد، **علم نفس النمو**، عالم الكتب، القاهرة.

١٠ - العيسوي، عبدالرحمن، **مشكلات الطفولة والمراهقة، ١٩٩٣م**، دار العلوم العربية، لبنان.

١١ - عامر، منير وعامر، شريف، **تربية الأبناء في الزمن الصعب، ١٩٩٤م**، دار العلم للملايين: بيروت.

١٢ - النعيمي، مريم عبدالله، **إشراقات تربوية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م**، دار ابن حزم.

١٣ - النعيمي، مريم عبدالله، **صناعة الرواد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م**، دار ابن حزم.

١٤ - النعيمي، مريم عبدالله، **الالتفات إلى الذات، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م**، دار ابن حزم.

١٥ - النعيمي، مريم عبدالله، **رحلة مع الجيل القادم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م**، دار ابن حزم

١٦ - شكور، جليل، **كيف تفهمين نفسية طفلك، ١٩٩٦م**، عالم الكتب: بيروت.

١٧ - الريماوي، محمد، **في علم نفس الطفل**، الطبعة الأولى، دار الشروق.

١٨ - شكور، وديع، **كيف تصنعين مستقبلاً لطفلك، ١٩٩٥م**، عالم الكتب بيروت.

١٩ - عثمان، أكرم، **مستوى الأسرة وعلاقته بالسمات الشخصية والتحصيل للأبناء، ٢٠٠٢م**، دار ابن حزم، بيروت.

٢٠ - السبيعي، عدنان، **نمو اللغة والمعرفة والذاكرة، ٢٠٠٠م**،دار الفارابي: دمشق.

٢١ - السبيعي، عدنان، **نمو الحب، ٢٠٠٠م**، دار الفارابي: دمشق.

٢٢ - أسعد، ميخائيل، **مشكلات الطفولة والمراهقة، ١٩٨٦م**، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢٣ - عدنان، أحمد، **أدب الأطفال والقيم التربوية**، ١٩٩٥م.
٢٤ - جراي، جون، **الرجال من المريخ**، النساء من الزهرة، ٢٠٠٠م، جرير.
٢٥ - فيشر، روجر (و) شارب، آلان، **إنجاز العمل**، ٢٠٠٠م، جرير.
٢٦ - مانوني، بيار، **ماذا تعرف عن علم النفس الجماعي**، شركة إنتر سبيس للنشر.
٢٧ - إيفانز، سيبل، (و) كوهين، شيري، **مفاتيح الغضب**، ٢٠٠١م، جرير
٢٨ - روبنز، أنتوني، **أيقظ قواك الخفية**، جرير، ٢٠٠٠م.
٢٩ - عدد من المؤلفين، **شوربة دجاج للحياة العملية**، مكتبة جرير.
٣٠ - دكتور سبوك، **حديث إلى الأمهات، مشاكل الآباء في تربية الأبناء**، ١٩٩٠، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
٣١ - شيرمان، جيمس، **التخطيط أول خطوات النجاح**، ١٤١٣ هـ، دار المعرفة للتنمية البشرية، ترجمة: د. محمد طه علي .
٣٢ - تشابمان، إلوود، **موقفك الإيجابي أغلى ما تملك**، ١٤١٢هـ، ترجمة: مفيد ناجي عودة، دار المعرفة للتنمية البشرية: الرياض.
٣٣ - كوفي، ستيفن، **إدارة الأولويات**، مكتبة جرير.
٣٤ - ماير، جيفري، **النجاح رحلة**، مكتبة جرير، ٢٠٠م.
٣٥ - وايلد، رجينالد،(و)، ليارو، وايلد، **الموسوعة النفسية (علم النفس يدلك على الطريق)**، ١٩٩٥ م، دار إحياء العلوم، بيروت.
٣٦ - عرض وتلخيص: الحاج، لويس، **الموسوعة النفسية (التغلب على القلق)**، ١٩٩٥م، دار إحياء العلوم: بيروت.
٣٧ - عدد من المؤلفين، **شوربة دجاج لحياة المراهقين**، ٢٠٠٢ م، مكتبة جرير.

٣٨ ـ كوفي، ستيفن، **العادات السبع للأسر الأكثر فعالية**، ٢٠٠٣ م، مكتبة جرير بيدولف، ستيف، **سر سعادة الأطفال**، ١٩٩٩م، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة.
٣٩ ـ مونتاجيو، أشلي، **كيف تساعد الأطفال على تنمية قيمهم الخلقية**، ترجمة: الجمّال، سامي، ١٩٩٢م، مكتبة النهضة المصرية.
٤٠ ـ بادن، باول، **طريق النجاح**، ١٩٨٧م، مكتبة المعارف، بيروت.
٤١ ـ كليناند، برنيس، **تنشئة الأطفال على حب القراءة**، ١٩٩٧م، مكتبة كنوز المعرفة.

ثانياً: من الأنترنت:

٤٢ ـ **مجلة الخدمة الاجتماعية** / ثلثا نساء العالم يتعرضن للضرب من قبل أزواجهم.
٤٣ ـ www.swmsa.com
٤٤ ـ **اضرب المرأة قبل الغذاء وبعد العشاء**، بقلم عادل سالم.
٤٥ ـ www.diwanalarab.com
٤٦ ـ **مجلة الخدمة الاجتماعية** / تمحيص في إشكالية العنف المنزلي.
٤٧ ـ www.swmsa.com
٤٨ ـ **وسائل الإعلام والعنف الأسري** ـ آذار ١٤، ٢٠٠٣م.
٤٩ ـ **علي راضي حسانين ـ لجنة العلاقات الخارجية ـ مجلس الشعب المصري، مركز الدراسات ـ أمان.**
٥٠ ـ http://www.amanjordan.org/aman_studies
٥١ ـ **كيف تسهم المرأة في تنمية المجتمع وهي خارج بيتها، تحقيق هناء محمد.**
٥٢ ـ www.saaed.net
٥٣ ـ **خصوصية مرحلة الشباب** /مريم عبدالله النعيمي.
٥٤ ـ www.tarbawi.com

٥٥ - **بيوت خمس نجوم** /مريم عبدالله النعيمي
٥٦ - www.tarbawi.com
٥٧ - **الحزم في التربية** /مريم عبدالله النعيمي.
٥٨ - www.tarbawi.com
٥٩ - **الارتقاء بالفكر والسلوك معا** /مريم عبدالله النعيمي.
٦٠ - www.tarbawi.com
٦١ - **الأخلاق أولاً** /مريم عبدالله النعيمي.
٦٢ - www.tarbawi.com
٦٣ - **التشجيع وأثره في بناء الجيل**/مريم عبدالله النعيمي.
٦٤ - www.tarbawi.com
٦٥ - **الإبحار في الاتجاه الصحيح** /مريم عبدالله النعيمي.
٦٦ - www.tarbawi.com
٦٧ - **المغناطيس البصري** /مريم عبدالله النعيمي.
٦٨ - www.tarbawi.com
٦٩ - **امتلاك أدوات المعرفة** / من كتاب مقومات الوعي والبصيرة.
٧٠ - www.balagh.com
٧١ - **الاهتداء بهدي دين معين** / من كتاب مقومات الوعي والبصيرة.
٧٢ - www. balagh.com
٧٣ - **- توطيد العلاقة مع الله سبحانه وتعالى** / من كتاب مقومات الوعي والبصيرة.
٧٤ - www. balagh.com
٧٥ - **البصر والبصيرة**/ من كتاب مقومات الوعي والبصيرة.
٧٦ - www. balagh.com
٧٧ - **ماهي البصيرة؟** / من كتاب مقومات الوعي والبصيرة.
٧٨ - www. balagh.com
٧٩ - **المراهق يتغلب على التمرد** / د. بدر محمد ملك ود. لطيفة الكندري.

٨٠ ـ www.geocities.com
٨١ ـ **التغلب على الغيرة المذمومة عند الأطفال** / د. بدر محمد ملك ود. لطيفة الكندري.
٨٢ ـ www.geocities.com
٨٣ ـ **التغلب على الخوف عند الأطفال** / د. بدر محمد ملك ود. لطيفة الكندري.
٨٤ ـ www.geocities.com
٨٥ ـ **الذكاء العاطفي** / أ. ألعنود بنت عبدالرحمن المطرف.
٨٦ ـ www.nafsany.com
٨٧ ـ **الدافعية للإنجاز وعلاقاتها بكل من توكيد الذات** / د. إبراهيم شوقي عبدالحميد.
٨٨ ـ www.geocities.com
٨٩ ـ **توكيد الذات** / د. محمد عبدالله الصغير.
٩٠ ـ www.nafsany.com
٩١ ـ **المهنة والاضطرابات النفسية** / د. حسان المالح.
٩٢ ـ www.arank.com
٩٣ ـ **اتجاهات حديثة في أدب النجاح.**
٩٤ ـ www.alayham.com
٩٥ ـ **التفكير المقلوب.**
٩٦ ـ www.e-wahat.com
٩٧ ـ **المكافأة الزوجية.**
٩٨ ـ http://mawada20.tripod.com/baqa.html
٩٩ ـ **استثمار النجاح** /مريم عبدالله النعيمي.
١٠٠ ـ www.islamselect.com
١٠١ ـ **تحقيق الذات** / مريم عبدالله النعيمي.
١٠٢ ـ www.arabia.com

١٠٣ ـ ارفع رصيدك العائلي / مريم عبدالله النعيمي.
١٠٤ ـ www.ala7rar.com
١٠٥ ـ القاضي /مريم عبدالله النعيمي.
١٠٦ ـ www.tarbawi.com
١٠٧ ـ إطلالة على المجتمع /عبدالله بن تركي البكر.
١٠٨ ـ www.adabihail.gov.sa
١٠٩ ـ لوحة وتعليق / الأطفال والمربية / د. محمد البسيوني.
١١٠ ـ www.hayatnafs.com
١١١ ـ بيئة إبداع / عبدالله المهيري.
١١٢ ـ www.alnoor-world.com
١١٣ ـ المرأة في سطور.
١١٤ ـ http://mawada20.tripod.com
١١٥ ـ عشر قواعد في التميز الأسري.
١١٦ ـ http://mawada20.tripod.com
١١٧ ـ فيروسات الحياة الزوجية.
١١٨ ـ http://mawada20.tripod.com
١١٩ ـ أمور ضارة بهدف تحقيق الذات وأخرى مفيدة.
١٢٠ ـ www.balagh.com
١٢١ ـ المولعون بالكتب.
١٢٢ ـ www.qantara.de
١٢٣ ـ المرأة تسأل كيف يفكر الرجل.. والعلم يجيب.
١٢٤ ـ http://arabe.casanet.net.ma
١٢٥ ـ التعليم المنزلي طوق النجاة.
١٢٦ ـ www.waldee.com
١٢٧ ـ إشكالية النظام الاجتماعي / عقيل نوري محمد.
١٢٨ ـ www.uluminsania.com

١٢٩ ـ مشاكل المراهقة/ بقلم: وفاء آغا.
١٣٠ ـ www.freearabia.com

❀ ❀ ❀

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥ ـ ٨
النمو اللغوي	٩ ـ ١٥
القواعد الذهبية لفهم المراهق	١٦ ـ ٢٧
تربية الأبناء في الزمن الصعب	٢٨ ـ ٣٤
الصحة النفسية للآباء.. منطلق النجاحات الكبرى	٣٥ ـ ٣٩
القدوة الوالدية والأثر على أرض الواقع	٤٠ ـ ٤٥
المرأة بين البيت والعمل	٤٦ ـ ٥٣
كيف نفهم الزوج المبكر وكيف نقيم التجربة	٥٤ ـ ٦٤
المد والجزر في الحياة الزوجية	٦٥ ـ ٧٤
بناء روح الفريق الأسري	٧٥ ـ ٧٩
التخطيط الأسري الفعال	٨٠ ـ ٨٦
على قارعة الطريق	٨٧ ـ ٩٢
دعوة إلى البر	٩٣ ـ ١٠١
التربية المتكاملة لا المتقابلة	١٠٢ ـ ١٠٤
تقويم أم انتقام	١٠٥ ـ ١٠٨
تأديب أم تعذيب	١٠٩ ـ ١١٢
استطلاع هام	١١٣ ـ ١١٥

الموضوع	الصفحة
نساء يستهدفهن العنف	١١٦ ـ ١١٩
التطور الفكري	١٢٠ ـ ١٢٣
وسائل الإعلام والعنف	١٢٤ ـ ١٢٧
خاتمة الكتاب	١٢٩ ـ ١٣٠
أهم المراجع	١٣١ ـ ١٣٨
الفهرس	١٣٩ ـ ١٤٠

تم بحمد الله وتوفيقه

المملكة الأسرية

هي مملكة مستقلة تدور بها كافة عمليات البناء والتطوير ومن خلالها تجري صناعة الفرد وتكوينه لينضم لكوكبة الفرسان القادرين على العطاء فيعطي لأمته بعضاً من حقها عليه، ويقدم لهويته جزءاً من ضريبة الانتماء الواجب أداؤها بكل جدية وصدق.

حول هذا المعنى تدور صفحات الكتاب وتحلق سطوره في سماء الأسرة المسلمة وبين أرجائها الممتدة عبر أقطارنا وفي ضواحينا.

نافذة حوارية جادة نفتحها معكم أملاً بتدشين صرح أسري فعال في كل بيت يتطلع للأمام ويرجو أن ينجز من فيه أهداف النهوض بواقع أمة تتطلع لأدوار فاعلة لأفراد أمتها من جديد.

نبذة عن الكاتبة:

مريم عبدالله النعيمي:

كاتبة وباحثة، مدربة معتمدة لدى العديد من مراكز التدريب بدولة الإمارات.

محررة عمود يومي بصحيفة البيان الإماراتية (٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤م) لها مساهمات عدة في المجلات المحلية والعربية.

صدر لها العديد من الكتب، ومنها:

- إشراقات تربوية: ١٩٩٨م ـ دار ابن حزم.
- لافتات للمبصرين: ١٩٩٩م ـ دار ابن حزم.
- رحلة مع الجيل القادم: ٢٠٠١م ـ دار ابن حزم.
- صناعة الرواد: ٢٠٠١م ـ دار ابن حزم.
- الالتفات إلى الذات: ٢٠٠١م ـ دار ابن حزم.
- الإعلام فوق رمال متحركة ـ دار ابن حزم.

قيد الطباعة:

- أوراق من النقد الذاتي ـ الإعلام أنموذجاً ـ دار ابن حزم.

ISBN 9953-81-093-1
9789953810935

S.R.
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
ريال